

خامسا:

الدعوة والثقافة الإسلامية

العلامة محمد إبراهيم الكتاني وجهوده في تجديد الفكر الإسلامي

د. حسن ميمون موحى باقى

قسم الدعوة والثقافة الإجتماعية - كلية أول الدين
جامعة أم القرى

العلامة محمد إبراهيم الكتاني وجهوده في تجديد الفكر الإسلامي

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه.

إن دعوى التجديد في منطوقها العام، ومفهومها الشامل، تتنازعها جميع التيارات الفكرية، وكل منها يدعي صلة بها، وحرصا عليها، وقيامها بها. وعندما تدعي ذلك تلك التيارات الإسلامية على اختلاف مشاربها، فإن الأمر يبدو طبيعياً بل بديهياً، لأن الإسلام يدعو إلى التجديد وقد جعله سنة كونية، ومخبرا نبويا، وذلك عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»^(١).

ولكن الأمر يخرج عن المعتاد ويفارق البدهاة، وتستغرقه الغرابة، وتلبسه العجاجة عندما يدعي بعض المنتسبين إلى التيارين الصوفي والعلماني التجديد ويدعون إليه، ويصران على الزعم بالقيام به؛ إلا أن محاولة الانفلات من هذا الاستغراب والتعجب لأمر يمكن الوصول إليه، وذلك إما بالتأويل أو التحايل على زعمهم، حيث نرى الأمر من زاوية مخالفة ومباينة لزاويتهم التي نظروا من خلالها إلى التجديد. فنقول ما دام التيار الصوفي يعيش خارج السياق ويسوق الأوهام، وينغمس في الخرافة، وينقطع عن الحداثة - هذا في الغالب - فإن الأمر يحتاج إلى تدقيق وتعمق. وكذلك الأمر بالنسبة إلى التيار العلماني الذي يفصل الدين عن الدولة أو يفصل الدين عن الحياة، فإن موقفه يستلزم تبصرا وتمهلا. وعند المحاولة لتحقيق كل ذلك، نستنتج أن هذين التيارين ما زعما ذلك وحاولا التلبس به، إلا لأن التجديد في هذا الوقت أصبح ضرورة لازمة، وحاجة غالبية، ولم يعد ترفا فكريا ولا رفاهية علمية. وما تحقق حول هذا الإجماع إلا بعد حصول الاضطراب، وانقطاع السبل، وقيام الحجة، وحلول اليقين بأن التجديد هو دواء لعلل الأمة وعلاج لأمرضها، وبلسم لمشكلاتها، وطريقها إلى النجاة والخروج من دائرة التخلف والانحطاط. إلا أن تلك الدعوى ليست سواء، منها الصادق ومنها الكاذب، ومنها الحقيقي ومنها الزائف، ومنها الأصلي

ومنها المقلد. وعلى العموم فإن مطلب التجديد قديم في الأمة الإسلامية بقدم حث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه.

وقد شهد التاريخ الإسلامي في مسيرته التليدة مجددين كثيرين، تعددت عصورهم، وتنوعت مناهجهم، حققوا نجاحات، وغيروا مسارات، ووزعوا خيرات، وحصدوا انبعاثات. ولكن في العقود الأخيرة والتي فاقت المائة سنة لم تسطع الأمة تحقيق التجديد سواء الفردي أو الجماعي، وعجزت عن القيام بهذا الواجب، وإن وجد من حقق بعض التجديد، فإنه يظل جزئياً ونسبياً، ولم يصل إلى المراد، ولم يحقق التجديد الكامل رغم كثرة الأقطام والأفواه التي دعت إليه، وتنوع الشخصيات زماناً ومكاناً التي رأت في التجديد الخلاص والمنقذ، فعاشت تنادي به وتشحذ الهمم للقيام به.

ومن أبرز الأعلام الذين عاشوا للتجديد وجعلوه هدفهم الأسمى، وغايتهم القصوى، فبدلوا الجهد بل العمر في الدعوة إليه، العالم الجليل والمجاهد الكبير محمد إبراهيم الكتاني: فمن هو هذا الرجل؟ وما جهوده في الدعوة إلى التجديد؟ وما منهجه؟ وما النتيجة والحصاد؟ هذه الأسئلة هي التي يحاول هذا البحث المختصر الإجابة عليها.

أولاً: عصر الشيخ محمد إبراهيم الكتاني:

كان المغرب في هذا العصر متخلفاً ضعيفاً في جميع المجالات، بعيداً عن التقدم، والمعاصر فمن الناحية السياسية دخل المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في عزلة تامة واختيارية، عن الشرق والغرب ظن خلالها «المتنور المغربي أن حياة مجتمع بلده لا تضاهى وأن علوم بلده لا مثيل لها في باقي العالم. بل كان ينظر بازدراء إلى العالم الخارجي وحضارته^(٢)» ولم يكن هذا الانغلاق على الذات «خطة عملية فإنها إنما منعت الاستفادة من علوم الغرب ومعارفه، ولم تقف في وجه مطامعه وشروعه^(٣). ولكن الأمر لم يدم طويلاً إذ بدأ هذا السراب ينقشع، وأصبح هذا الوهم يتلاشى، وباتت مواجهة الحقيقة تقترب، وملامسة الواقع ترحف، عندما شرع المغرب في الاستيقاظ الذي كان متأخراً، ففتح عينيه على اضطرابات سياسية داخلية، كانت أبرز صورها ثورة بعض القبائل على السلطان والخروج عليه في عدة مناطق من المغرب، وكان أخطرها تمرد «بوحمارة»^(٤)؛ ووصلت هذه

الاضطرابات منتهها بعزل السلطان عبد العزيز في ٢ يناير ١٩٠٨م وتعيينه بأخيه عبد الحفيظ لينقذ البلاد من مخاطرها الداخلية والخارجية، ولكنه حقق بعض النجاح داخليا مقابل فشل ذريع خارجيا؛ فإن تمكن من إخماد بعض الثورات الداخلية والقضاء على تمرد «بوحامرة» وإعدامه سنة ١٩٠٩م، فإن مواجهة الأخطار الخارجية لم يفلح في مواجهتها وبدأ يقدم التنازلات لفرنسا وإسبانيا المتربصين به؛ تنازلات سيادية كتنازله عن أجزاء من الوطن لفرنسا كمنطقة الشاوية، وعن منطقة تطوان لإسبانيا، وتنازلات اقتصادية كتنازله عن إدارة الجمارك لصالح فرنسا^(٥). ولم يستطع بهذه الانتكاسات أن يشبع أطماع الأعداء ويكف أيديهم عن وطنه، بل فعل تطلعاتهم وفتح شهيتهم، فلم ينته الأمر إلا بتوقيع هذا السلطان بيده على معاهدة الحماية يوم ٣٠ مارس ١٩١٢م والتي من خلالها سيطرت فرنسا على وسط المغرب، واحتلت إسبانيا شماله وجنوبه، ووضعت طنجة تحت نظام الإدارة الدولية^(٦). وهكذا فقد المغرب استقلاله وأصبح دولة مستعمرة فاقدة لزمَام أمرها.

أما الحالة الاجتماعية فلا يمكن إلا أن تكون تبعا للحالة السياسية تأثرا بها ونتيجة من نتائجها، فكان المجتمع المغربي في غالبته العظمى جاهلا فقيرا ضعيفا مريضا مقسما، تسوده الطرقية والخرافة والدجل والشعوذة، وينخره الفساد والضلال والبدع.

وعندما تمكن الاستعمار من تثبيت أقدامه في المغرب ونشر نفوذه، عمل على زيادة تأزيم الوضع واستغلال الأرض والشعب، فاجتهد في تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات:

١- طبقة الحكام بأنواعها المختلفة. من مستعمر وأتباعه المتعاونين والخونة، من سلاطين وحاشيتهم، ومن قواد ورجال عصبية وقوتهم، فهؤلاء كانوا يعيشون في رفاهية ورغد. مستغرقين في الملذات والشهوات.

٢- طبقة الإقطاعيين والبورجوازيين مغاربة وأجانب، وهؤلاء اجتمع المال الوفير في أيديهم، وعاشوا الغنى الفاحش وكدسوا الثروات.

٣- طبقة العلماء والأشراف وكانوا أنواعا: منهم من أصر على القيام بواجبه وأداء وظيفته، ومنهم من ارتقى في أحضان الاستعمار والسلطان فسكتوا وسايروا، ومنهم من اتسم

بالصلاح فأثر السلامة والاعتزال. ومنهم زعماء الطريقة تعاونوا مع المستعمر فحرصوا على إشاعة الخرافة والضلال.

٤- طبقة عامة الناس، فهؤلاء كانوا هم الضحية؛ ضحية الاستبداد والقهر والظلم والاستغلال والفساد والجهل والفقر، فعاشوا من أجل لقمة توضع في الأفواه لئسكت جوع البطون...^(٧). وهذا لم يكن وليد اللحظة، ولا حصيلة اليوم ولا نتاج الشهر أو السنة، بل يعود إلى عدة قرون تخلى فيها المغرب عن دوره القيادي وتخلى فيها المسؤولون عن قيادة الشعب في طريق المعرفة، وتخلت فيه الطبقة المثقفة (العلماء) عن واجبها في توجيه الشعب وتنوير ذهنيته^(٨).

كما أن المستعمر لم يفوت فرصة تكوّن المجتمع من عدة إثنيات أعراق فحاول استغلال ذلك وتقسيم المجتمع إلى طائفتين بربرا وعربا، فأصدر الظهير البربري في ١٦ مايو ١٩٣٠م الذي ينص على تخصيص البربر بمحاكم تكرر العرف والعادة المحلية للبربر كمرجعية للتحاكم إليها بدل الشريعة الإسلامية ومنع اللغة العربية بالتداول بينهم، فيما تبقى المناطق العربية خاضعة لسلطة قضاء السلطان المغربي.

أما الحالة العلمية فما كان لها لتشد عن ما سبق، فالعلم كان قليلا، والجهل كان كثيرا، وما كان موجودا من علم فقد غلب عليه الجمود والتقليد والعصبية وهيمن عليه علم الكلام والسلوك «حيث تحددت أطر الإنتاج الفكري في حدود المذهب، فصارت المؤلفات إما اجترارا وتكرار لأفكار من سبقوا من رجال المذاهب، أو إطراء وإشادة بتضحياتهم وجهادهم... كما ظهرت الشروح والحواشي والمختصرات. في حين لم تنل المشكلات المعاصرة والحاجات القائمة التي تتعلق بالأمة آنذاك إلا إشارات هامشية محدودة»^(٩). وأغلب ذلك الجهد العلمي الضعيف والقليل كان محصورا في مدينة فاس، فاس التي كان سكانها عبر تاريخها «مياسير ولها من كل شيء حسن أكبر نصيب وأوفر حظ»^(١٠)، والتي يتواجد بها أقدم جامعة في التاريخ، وهي جامعة القرويين التي كانت دوما منارا يشع منها نور العلم والمعرفة في المغرب الإسلامي، والتي بدورها فقدت ذلك الدور وتبلدت بالجمود والتقليد والمزايدة في علم الكلام^(١١)، فتخلت عن دورها الريادي... ولكن إلى حين.

ثانياً: سيرته:

١- **اسمه:** هو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن جعفر بن إدريس بن الطائع بن إدريس بن محمد الزمزمي... ويصل نسبه إلى إدريس الأكبر^(١٢) ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(١٣).

٢- **مولده:** ولد الشيخ محمد إبراهيم الكتاني في مدينة فاس يوم الجمعة ١٠ رمضان سنة ١٣٢٥هـ، وازداد على فراش أمه خدوج بنت عبد الكبير بن المجذوب الفاسي، وكان له من الإخوة ثلاثة^(١٤).

٣- **أسرته:** قد أنعم الله على الشيخ محمد بن إبراهيم الكتاني بأن نسبه إلى أسرة عريقة مجيدة شريفة، جُمعت لها ألوية الشرف والمجد (والملك سابقاً) والعلم والغنى في غالبها، «فقد كان والده وجده وعمه محمد بن جعفر الكتاني^(١٥) من كبار علماء القرويين المدرسين المؤلفين الخطباء المعروفين بالتقوى والصلاح». أسرته غصنا من شجرة كبيرة هي تلك العائلة التي تعدد فيها المشاهير عبر تاريخها حتى كانت صعب عُدُّهم وحصرهم، خاصة في العقود الأخيرة، فتربعوا على عروش العلم، وكان إليهم منتهى علم الحديث فلقب أحدهم بحافظ المغرب، وآخر بحجة الإسلام، وثالث بالمجتهد ورابع بالمجدد وغير ذلك، إلا أن هذا لم يستطع أن يخفي بعض التناقض الذي وجد في هذه العائلة الكبيرة المجيدة، فإن كان بينهم المجتهد فقد تواجد كذلك المقلد، وإن كان منهم المتبع فقد وجد المبتدع، وإن برز فيهم المجاهد فقد كان فيهم العميل^(١٦). كما كان منهم السلفي والطريقي، وكانوا من مراجع التصوف: فقد أسس أبو المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني (ت ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م) الزاوية^(١٧) الكتانية وكان شيخاً للطريقة المحمدية الكتانية. كما أسس أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني (١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م) الطريقة الأحمدية الكتانية. وخلاصة القول إنها من أعرق الأسر على الإطلاق، وأكثرها علماً وعملاً، إنتاجاً وكتابة، حفظاً وسنداً^(١٨).

٤- **نشأته العلمية:** إذا كانت أسرة الشيخ علاقتها بالعلم على هذه الدرجة من الصلة والقوة، فمن الطبيعي في الغالب أن يصيبه من ذلك حظ وافر، وقدر واسع، وفعالاً قد كان، إذ ألحق وعمره أربع سنوات بالكتاب لحفظ القرآن الكريم وبعده مهمات المتون.

وبعدما حفظ القرآن الكريم والمتون، التحق سنة ١٩١٩ م بجامعة القرويين. فدرس على أعلامها ما كان يدرس بها من علوم أدبية وشرعية ورياضية. ولم يكتف بما كان يدرس بالقرويين بل التجأ صحبة بعض زملائه إلى قراءة عدد كبير من الكتب وعلوم لم تكن تدرس بالقرويين، واستجاز وهو صغير السن شيخ الجماعة أحمد ابن الحياض الزكاري^(١٩) فأجازه^(٢٠)، وفي سنة ١٩٣٠ م نجح في اجتياز امتحان العالمية^(٢١). وهي الرتبة التي تحول له شهادتها أن يحمل لقب عالم ويلج أبواب الوظيفة الحكومية ولكن مندوبية المعارف الإسلامية امتنعت عن تسليم شهادة العالمية له ولرفيقه علال الفاسي، وعبد العزيز بن إدريس العمراوي، خضوعاً لأوامر الحاكم الفرنسي للمغرب، وكان سبب ذلك الحرمان هو مشاركتهم بل قيادتهم للكفاح الوطني ضد المستعمر.. ولم تسلم له شهادة العالمية إلا بعد ست وعشرين سنة بعد استقلال المغرب، وكانت مؤرخة في ذي القعدة عام ١٣٥٠هـ، وكتب تحتها وزير التربية الوطنية السيد محمد الفاسي ما يلي: «نجح حامل هذه الشهادة في امتحان العالمية، ومنع منها لأفكاره الوطنية، إلى أن حق الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً، فسلمت له في ١٩ جمادى الثاني ١٣٧٦هـ^(٢٢).

٥- شيوخه: تعدد وكثر العلماء الذين أخذ عنهم محمد إبراهيم الكتاني العلم، كما تنوعت العلوم التي تلقاها على أيديهم، فجمعت في النحو والصرف والبلاغة والفقه واللغة وفقه الأصول والتوحيد وعلم الكلام والحديث ومصطلحه والتفسير والسيرة والتاريخ، وكان من أبرز شيوخه:

والده أحمد، وعمه محمد بن جعفر الكتاني، والظاهر الكتاني، وأحمد ابن الجيلالي، ومحمد بن العربي العلوي، وشعيب بن عبد الرحمن الدكالي، والفاطمي الشراذي، وأحمد العمراني، وعبد السلام العلوي، وغيرهم كثير^(٢٣).

٦- تلاميذه: من الوظائف التي تقلدها الشيخ محمد إبراهيم الكتاني التدريس في عدة جامعات، لهذا ولا شك تخرج على يده عدد كبير من الطلاب، منهم من تقلد مناصب عليا كالوزارة والسفارة وغيرها، وللاحاطة بذلك نسوق كلام محمد الفاسي الذي كان وزيراً للتهذيب الوطني ومديراً لجامعة القرويين ورئيساً لجامعة محمد الخامس حيث يقول: «

ومنذ تأسيس جامعة محمد الخامس تولى محمد إبراهيم الكتاني إلقاء محاضرات في كل من كليتي الآداب والحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط، وفاس، حيث نالت محاضراته القيمة وتوجيهاته وحسن تعليمه تقديراً كبيراً من طلبته. وقد تخرج على يديه كثير من العلماء والأساتذة وكبار الموظفين وكلهم لهجوا بالثناء عليه والاعتراف بفضلهم عليهم.

وإليه يرجع دائماً طلبة الجامعة الذين يحضرون دراسات وبحوثاً بتكليف من أساتذتهم لإرشادهم للمراجع والمصادر، وخصوصاً الذين يريدون تحضير رسائلهم لنيل شهادات دبلوم الدراسات العليا أو الدكتوراه، فيرشدتهم للمخطوطات الجديرة بالتحقيق، ويقدم لهم التوجيهات النافعة ويلقون منه حسن الرعاية^(٢٤).

٧- حياته العملية: نستطيع القول إن حياة محمد إبراهيم الكتاني العملية لم تكن كحياة أغلب الناس طبيعية رتيبة، ولا هادئة جامدة، ولا سهلة يسيرة، بل تحكمت فيها بإذن الله قوة سارية أخرجتها من المؤلف إلى غير المؤلف، وحملتها من التبعية إلى الزعامة، وخلصتها من الانقياد إلى المبادرة، ومن السكون إلى الحركة، ومن الانبطاح إلى الانتفاضة، ومن الإخفاق إلى التميز، ومن الفشل إلى التبريز، ومن الثبات إلى الوثوب... وإلا لما كان عُرفَ واشتهر ولا كتبنا حوله...

وتبقى واسطة قلادة حياته هي اصطفاء الله له ليكون مجاهداً ضد الاستعمار، حيث كان أحد أقطاب الحركة الوطنية وزعمائها بل ومؤسسيها «الذين عملوا لتحرير المغرب من سيطرة النصارى على البلاد... لهذا كان يعتبر في نظر السلطة الفرنسية أحد المهيجين الكبار ضد الاستعمار، ومسجلاً في القائمة السوداء الأولى التي يعتبر أعضاؤها مسؤولين عن كل أحداث المقاومة الوطنية، لاتهامهم دائماً بالتخطيط لها، والدعوة لتنفيذها»^(٢٥).

وقد انخرط في الجهاد وعمره لم يتعد ثماني عشرة سنة، إذ كان ثالث ثلاثة اجتمعوا وانفقوا على تأسيس جمعية وطنية سرية، وكان ذلك «في يوم من أيام ربيع سنة ١٩٢٥م، فأحضرها المصحف وأقسموا على الإخلاص والكتمان...»^(٢٦). وقد امتحن في سبيل استقلال المغرب بالسجن عدة مرات، كان أشدها وأطولها لما نقل مع رفاقه في الكفاح إلى

السجون الانفرادية في أقاليم الصحاري وكان مجموع المدد التي قضاهما في السجن سبع سنوات، كما أنه نفي وصودرت أملاكه^(٢٧). ومع كل ذلك لم يتراخ ولم يتراجع حتى حصل المغرب على استقلاله. ولكن ذلك لم يمهّد لجهاد الشيخ إذ انتقل إلى جهاد جديد، يكافح فيه مخلفات الاستعمار السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ويساهم في بناء مغرب جديد وحديث.

وفي حياته العملية تقلد عدداً من المناصب وتولى كثيراً من الوظائف نجملها في الآتي:

- عمل مديراً لمدرسة المنية الحرة بفاس سنة ١٩٣٠م.
- عين رئيساً لقسم المخطوطات سنة ١٩٥٦م بالخزانة العامة بالرباط.
- عمل استاذاً بجامعة محمد الخامس بالرباط وجامعة فاس وبالمدرسة الإدارية العليا وبتدار الحديث الحسنية.
- عضواً بأكاديمية المملكة المغربية.
- شارك في عدة مؤتمرات في البلاد العربية والإسلامية وفي أوروبا وأمريكا.
- عضواً باللجنة المركزية لحزب الاستقلال، وهو من المؤسسين له.
- كلف بالبحث عن نوازل المخطوطات العربية والمغربية في المغرب والبلاد العربية والإسلامية وفي أوروبا وأمريكا.
- عضو في كثير من الجمعيات الثقافية والاجتماعية مثل:
 - الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني.
 - عضو المجلس الأعلى لرابطة علماء المغرب.
 - جمعية تاريخ المغرب.
 - اللجنة الوطنية المغربية لليونسكو.
 - عضو في جمعية الجامعات الإسلامية.
 - عضو في جمعية التأليف والترجمة والنشر^(٢٨).

٨- مؤلفاته: كان قلم الشيخ محمد إبراهيم الكتاني غزيراً، استهلك مداداً كثيراً، فأنتج كتباً عديدة، تنوعت بين التأليف والتحقيق فاقت ستين كتاباً، إلا أن أغلبها مع الأسف ما زال مخطوطاً لم يقيد له من يخدمه. إلا ما قام به مشكوراً الدكتور حمزة علي الكتاني، وهذه بعض عناوينها:

١. الدعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام، في مجلدين.
٢. طبقات المجتهدين وأعداء التقليد في الإسلام، في خمس مجلدات.
٣. الاجتهاد والمجتهدون في الأندلس.
٤. النظرية العامة للشريعة الإسلامية، في مجلدين.
٥. كيف استطاع المسلمون المحافظة على النص القرآني.
٦. مؤلفات ابن حزم بين أنصاره وخصومه.
٧. سلفية الإمام مالك.
٨. أبو شعيب الدكالي وطلائع الحركة السلفية بالمغرب.
٩. نظرات في الثقافة المغربية المعاصرة.
١٠. موقف القرآن من النفاق والمنافقين.
١١. من أدب الكفاح الوطني بالمغرب.
١٢. الكتاب المغربي وقيمه.
١٣. صفحة مجهولة من تاريخ الفكر الإسلامي.
١٤. من ذكريات سجين.
١٥. فضل جامعة القرويين في الدفاع عن السيادة المغربية خلال عصور، في مجلدين.
١٦. نشأة الفكر الإسلامي الحديث.
١٧. حول التراث العربي الإسلامي.
١٨. من ذكرياتي عن نشأة الحركة الوطنية للمغرب.

١٩. اختصار المزايا فيما أحدث من البدع بأمر الزوايا.
٢٠. خطبة السلطان سليمان العلوي في «الانتصار للسنة والمحاربة لبدع الطوائف الضالة».
٢١. اختصار الدواهي المدهية للفرق المحمية.
٢٢. فهرس مجموعة من النصوص الموجودة في المخطوطات المغربية.
٢٣. طبعة دور المحفوظات في المغرب وعلاقتها بدراسة تاريخ المغرب.
٢٤. فهرس شيوخ في علوم القرآن والحديث.

التحقيق:

١. البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي.
 ٢. شذرات من كتاب «السياسة» لابن حزم.
 ٣. تقويم اللسان لأبي الفرج الحوزي.
 ٤. رسائل علماء فاس للمجاهدين المحاصرين لمدينة سبتة الأسيرة.
 ٥. المورد الأحلى في اختصار المحلى.
 ٦. أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، لسان الدين ابن الخطيب.
 ٧. حول كتاب: القدح المحلى في إكمال المحلى.
 ٨. حول كتاب الأضداد في اللغة.
 ٩. الجأش الربيط في النضال مع مغربية شنقيط، لمحمد ابن المجاهد الشيخ ماء العينين الشنقيطي.
 ١٠. مؤلفات علماء غرب إفريقيا في المكتبات المغربية.
- كما له عشرات المقالات المهمة والمفيدة.

٩- وفاته وثناء العلماء عليه: وفي ظهر يوم الأحد ٢٩ جمادى الأولى من عام ١٣١١هـ توفى رحمه الله.

ودفن في مقبرة الشهداء بالرباط، وكان لموته أثر كبير في فئات واسعة من الشعب المغربي، وخلفت حزنا عميقا في النفوس، وأسى جليلا في القلوب، بادر على إثرها كبار العلماء والشخصيات إلى رثائه بكلمات غالبها صادق ونزيه ودال، وبتقدير كبير منها: قول الدكتور إدريس بن محمد الكتاني: «فقيه المغرب دائرة معارف علمية. ومجاهد إسلامي كبير، ونموذج نادر الوجود من بقايا السلف الصالح...»^(٢٩).

وقال عنه الأستاذ أبو بكر القادري: «بقي ثابتا صامدا مخلصا في هذا الخط النضالي الذي تعددت جوانبه.. كان يناضل عن المغرب، عن حريته واستقلاله، عن ثقافته وكيانه، عن وجوده وحضارته، ناضل وتحمل كل أنواع المحن والأذى في سبيل بلاده، إلى أن لقي ربه راضيا مرضيا»^(٣٠).

وقال عنه الأستاذ الهاشمي الفلاي: «كان مجال اختصاصه، ومهام عمله، المحبب إليه في الطليعة الأولى، الدعوة الإسلامية ومحاربة التدجيل، ومناهضة الطرقيين من المبتدعين الموالين للاستعمار، وأصبح رمزا من رموز التحدي والعناد، يعلن الدعوة ويجاهر بالفكر، ويوسع دائرة الارتباط والاتصال مع الدعاة السلفيين...»^(٣١).

وقال عنه أبو مروان سفير فلسطين في المغرب: «تزود لرحلته بعلم غزير أبى إلا أن يكون نافعا للناس، وأعطى من همته وشبابه ورجولته وشيخوخته لأسرته الكبيرة ما قدر عليه أصحاب الهمم العالية. وأسرة فقيدنا الغالي لم تنحصر في عائلته وأقاربه فقط، ولا في وطنه الصغير فحسب، إنما امتدت علما وجهادا إلى خارج الوطن، إلى آفاق أمته الإسلامية بأجمعها، وفق حياته العامرة بالجهاد، المتسمة بالقناعة، المنبعثة عن ثبات عقيدة ورسوخ إيمان، والتي عانا بسببها السجن والتعذيب والملاحقة...»^(٣٢).

وقالت عنه الدكتورة زهور الأزرق: «حياته كلها عطاء بالقول والعمل، بالجهاد في كل الواجهات. حارب الاستعمار فلم يبال بما ناله من عذاب أو سجن أو حرمان، فقد احتسب ذلك لوجه الله دفاعا عن دينه ووطنه. وحارب الطرقية، فالحق يعلو ولا يعلى عليه. وحارب الجهل بالمدارس التي أنشأها، وبالدروس التي كان يعطيها دون مقابل... وحارب العوائد الضارة التي تسيء للإسلام وللمسلمين، وحارب البذخ والرفاهية مما اختار من حياة متواضعة...»^(٣٣).

وقال عنه الدكتور إسماعيل الخطيب: «ما كان رحمه الله ليدع الحديث عن هذا الموضوع الحبيب إلى نفسه. وحق له ذلك، فالحديث عن السلفية هو الحديث عن الإسلام الحق، هو الحديث عن المنهج الأمثل، هو الحديث عن الجهاد الذي حقق لهذه الأمة اعتناقها. ومن ثم فهو يعتبر أن مهاجمة السلفية مهاجمة للإسلام»^(٣٤).

وقال عنه الدكتور محمد عزيز الحبابي في المهرجان التكريمي الذي أقامته الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي: «سيدي إبراهيم من ركائز السلفية بالمغرب، إنه من مدرسة ابن العربي النائر أبدا على الطوائف الضالة وعلى الجمود، فلا بد من الرجوع إلى السلف الصالح بقراءة جديدة... لإزاحة الإسرائيليات، والفكر الخرافي، وإعادة الإسلام إلى صفائه. إنني أعترف بالكثير لسيدي إبراهيم بما شحني به من الاتجاه السلفي، فزكى المبادئ التي أخذتها عن أبا سيدي وأبي، فحررتني معنويا وذهنيا، وجعل أفقي الإسلامي صافيا من الشوائب، نظيفا إلى حد يمكنني أن أقول: «لو كشف لي الحجاب لي لما ازداد يقيني فتبلا»^(٣٥).

ثالثا: لماذا الشيخ محمد إبراهيم الكتاني:

ما جعلني أتعلق بهذا الرجل وأنبش في تراثه كل ما سبق... جهاده وعلمه... وعدله وموضوعيته وتواضعه وسلفيته التي تجلت في دفاعه عن منهج السلف الصالح ومنافحته عن سلفية الإمام مالك ومناهضته للتصوف الطرقي وخرافته، فعدله وموضوعيته قد تنطرق لها في ثنايا البحث إن شاء الله. أما تواضعه فيتجلى من خلال إصراره أن يعيش حياة بسيطة طبعت كثير من نواحيها بصور من الزهد والابتعاد عن الأضواء والتصدر، وعدم الحرص

على المناصب الكبيرة ولا جمع الثروات، مع أن ذلك كان متاحا له، لأنه كان من قلة قليلة سادت وترعمت، بفضل الشرف والعلم، والجهاد والكفاح والعمل والاجتهاد، وما قدموه للوطن بل للإسلام والمسلمين، من توضيحات جليلة وأعمال عظيمة. ولأننا لا نعثر عليه ضمن المحارصين على الزعامة والاستمرار فيها، ولا المتطلعين إلى ألقاب العلماء والمصلحين ولا المجددين، بل كان جل همه أن يتحرك ركب الإسلام والتجديد ويكون بين السائرين فيه. كان يرضى من كل شيء بالقليل... ولأنه في نظري لم يأخذ حقه الذي ينبغي له، ودليلي على ذلك أن أغلب مؤلفاته لم يطبع منها إلا ثلاثة كتب، ولم ينجز حوله من الأطروحات العلمية إلا رسالة ماجستير يتيمة، سمعت عنها ولم أرها، بحثت عنها فلم أجدها، ومما وصلني منها أنها ضعيفة لا تليق بمستواه ولا بجهوده.. حتى صرت أشك في وجودها أصلا. «ولأن وكالة المغرب العربي للأنباء حين رصدت الأسماء التي فقدتها المغرب خلال سنة ١٩٩٠م، لم تذكر اسمين كبيرين رمزيين في تاريخ هذا الوطن، اسم السلفي المجاهد العلامة محمد إبراهيم الكتاني، المحقق والمؤلف، عضو أكاديمية المملكة، واسم محمد اليزيدي، القائد في معركة لا يخوضها إلا القادة الكبار... لم نفاجأ، وقد نسي تعليق صغير لوكالة المغرب العربي للأنباء، هذين المجاهدين الكبيرين.

لم نفاجأ لأن ما حدث قبل ذلك علمنا أن نعيش مرحلة مسخ، إذ حين فقد المغرب العالم السلفي محمد إبراهيم الكتاني، الذي أرخ لمعتقل كلميمة بدمه، عضو أكاديمية المملكة، والأستاذ الذي تتلمذ على يده العديد من الأساتذة والمحققين، وقام بأدوار كبيرة في ربط نضال الحركة الوطنية المغربية بنضال الحركة الوطنية الجزائرية، بين حراب وبنادق الجيش الفرنسي. حين فقدته المغرب، لم تكلف أجهزة الإعلام نفسها أن تعطيه ولو بعض الثواني مما أعطته لوفاة السيدة لطيفة أمل (مغنية)، رحمها الله، التي قدمها التلفزيون بتعريجاتها في سهرة من السهرات إياها، ذلك أن أخبار بوفاة ونضالات رجل في قامته محمد إبراهيم الكتاني، رفيق وتلميذ شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، ربما كان يتطلب إذا رسميا من وزير الإعلام نفسه. وبما أن أحدا لم يجرؤ على مخاطبة الوزير، بأن أجهزته تصرفت تحت بند استبعاد «كل ما من شأنه...».

وسيرقد شيخنا الفقيد في مثواه، متواضعا كما كان، سعيدا بأن جنازته لم يحضرها كبير رسمي، وحضرها ثلة من المؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه. إنه في وفاته يظل منسجما مع نفسه في حياته التي كانت أكبر سماتها، إشراق داخلي ينعكس إشراقا على وجهه السمح»^(٣٦). لكل ذلك جاء هذا البحث الجزئي والمتواضع كشكر وعرفان لهذا الرجل الخالد، ولكل من شاركه في صفاته المعنوية والروحية والعلمية والعملية، والوجدانية والخلقية...

رابعا: جهوده في تجديد الفكر الإسلامي:

إن التجديد لفظة لم تعد غريبة بل تعودتھا الأذان، وأستأنسها الأذهان، لكثرة ترديدها، ولتكاثر الداعين إليه، ولتنوع واختلاف مشاربهم ومذاهبهم، وتباين آليات تنزيلاتهم. فما هو التجديد؟ وما تأصيله؟ وما أسبابه وأهدافه:

التجديد لغة: تصيير الشيء جديدا، وجد الشيء أي صار جديدا^(٣٧). وهو خلاف القديم، وجدد فلان الأمر وأجد واستجده إذا أحدثه^(٣٨).

التجديد في الاصطلاح: «إنه إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما»^(٣٩).

وعرفه المكِّي الناصري: «التجديد يعني الصيانة، ونفض الغبار، والتطهير من الطفيليات، وضرب الحراسة القوية من حوله، حتى لا يتسلل إليه اللصوص والمخربون»^(٤٠).

أما الدكتور طه عبد الرحمن فقال: «التجديد هو التمكّن من التطهير والترسيخ المطلوبين في تحصيل التسلف واكتساب القدرة على فهم النصوص الأصلية فيما يجد علاقتها بها، ولا يزيدنا بعد الزمان إلا احتياجا للتمنّج من جهة، وتعرضا للابتداع بترك هذا التّمنّج من جهة أخرى....»

ولا سبيل إلى التطهير والترسيخ إلا بالتوجه والمراقبة لنموذج حي يخاطبنا ونخاطبه، بصير بشؤون المراقبة، ومتحقق بالفهم، ومتمرس بالتجديد»^(٤١).

١- التأصيل:

التجديد الذي نقصده هنا هو تجديد في الفكر الإسلامي، وهذا الفكر الإسلامي هو مما انبنى عليه دين الإسلام وقام به، إذا هو تجديد في الدين، وكل ما له علاقة بالدين لا يستقيم أمره، ولا تتحقق حجيته إلا إذا كان له أصل يقوم وينتصر به. والتجديد لم يخل من هذا الرافد، إذ اشتهر حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصل له ودعا إليه وحث عليه رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»^(٤٢).

قال العلقمي وهو ينقل عن شيخه الإجماع على صحة الحديث: «اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح»^(٤٣).

وقال ابن حجر: «... وهذا يشعر بأن الحديث كان مشهوراً في ذلك العصر، ففيه تقوية للسند المذكور مع أنه قوي لثقة رجاله»^(٤٤).

وقال السيوطي: «اتفق الحفاظ على تصحيحه»^(٤٥).

وقال الألباني: «والسند صحيح، ورجاله ثقات، رجال مسلم»^(٤٦).

وأشير إلى أن هذا الحديث مروى عن واحد وعشرين صاحبياً وليس عن أبي هريرة فقط.

٢- الأسباب الداعية إليه:

إن الباحث عن أسباب ومبررات التجديد لن يواجه عناء شديداً، ولن يبذل جهداً واسعاً ليصل إليهما، لأنهما معه يتعايشان وحياته مرافقان. وإذا كان التجديد لم يختص بعصرنا، لأنه كان وسيكون في كل مكان وزمان، فما نعيشه اليوم في واقعنا المشاهد لهو أكبر سبب وأعظم مبرر لاستدعاء التجديد واستحضاره وتفعيله، ويكفي أن نذكر بعض الأسباب وليس كلها:

١. ما أصاب المسلمين من ضعف وانحطاط وفقير وجهل.
٢. امتزاج الدين بالخرافة، وانتشار الطرقية والمذاهب المنحرفة والعقائد الباطلة.
٣. استقواء الفرق المنحرفة والمنتسبة إلى الإسلام.
٤. الجمود والتقليد والانفصال عن الواقع.
٥. تقصير فئة كبيرة من العلماء وتهاونهم في أداء وظيفتهم.
٦. انتشار البدع والانحراف والفساد والمنكرات.
٧. تدهور الأخلاق وانحلال الأسر.
٨. الانبهار بالحضارة الغربية والخضوع لها والاستسلام أمامها.
٩. التدهور السياسي والاقتصادي والعسكري.
١٠. الغزو الفكري والتنصير وتفشي العلمانية.
١١. اشتداد المحن والمصائب على الأمة الإسلامية.
١٢. التعلق بالدنيا والحرص عليها والاستغراق في شهواتها.
١٣. الحاجة إلى التوفيق بين المعاصرة والأصالة وإحياء التراث الإسلامي وإعادة الاعتبار إليه.
١٤. التجديد حاجة دورية قرنية مستمرة ودائمة.

٣- أهداف التجديد:

للأهداف علاقة بالأسباب، فهي الموجدة والمحفزة لها، ولا أهداف بدون أسباب، لهذا من الطبيعي أن تكون أهداف التجديد هي إزالة تلك الأسباب التي استدعته وفعلته. إضافة إلى ما ذكر آنفا من أسباب فإن من أهداف التجديد القضاء عليها وعلى غيرها من المعوقات والنواقض والتي منها:

١. إحياء ما انطمس واندرس من معالم السنن بين الناس، وحمل الناس على العمل بها.
٢. محاربة الغلو والتطرف والقضاء على الإرهاب وأسبابه.
٣. إعادة الشريعة إلى مسارها الصحيح، وتفعيل دورها وتطبيق أحكامها.

٤. إبراز يسر الإسلام وسماحته ورحمته وصلاحيته لكل زمان ومكان.
٥. ربط المسلمين بروح الإسلام وأخلاقه وليس فقط برسومه ومظاهره.
٦. تمكين المسلمين من المساهمة في الحضارة العالمية وبنائها كما فعلوا من قبل.
٧. تصحيح مسار الدعوة وإعادة توجيه مدار الصحوه.
٨. إعادة ترتيب الأولويات وتقديم الضروريات.
٩. ترسيخ قيم العدل والمساواة والتكريم الإلهي للإنسان.
١٠. تصحيح معان القضاء والقدر لدى المسلمين والقضاء على الفكر الجبري.
١١. ربط الشباب بأوطانهم وتنمية حبهم لها، وإحياء اعتزازهم بها.
١٢. إشاعة فقه التعامل مع المصائب والمحن، والابتلاءات والفتن.
١٣. تثبيت الفهم الصحيح للنص وتطويره وتقويض فهم العلمانيين له.
١٤. إيجاد الحلول لمشكلات العصر ونوازل الزمان، وتطبيقها على الواقع.
١٥. الإنصات والفهم الجيد مع التدبر والتفصيل لكلمة {اقرأ} التي هي أول كلمة ربطت الأرض بالسماء.
١٦. التفريق بين الثابت الأصيل والمتغير الجديد.

خامساً: مدلولات الفكر الإسلامي:

نقصد بالمدلول المعنى، والمراد الذي نريده ونختاره، نضبط به مصطلحاتنا ومفهومنا للفكر، حتى لا نضيع بين الدال والمدلول، ونتيه بين المراد والمقصود، خاصة ونحن في زمن يندر فيه الاتفاق، ويقبل فيه الإجماع، بل يندم ويفقد.

فالفكر أنواع متعددة، ومدارس مختلفة، أجملها الفكر الناتج، وأفيدها الفكر الناقد. فالفكر الناتج مساهمة وبناء، وإضافة وعطاء. والفكر الناقد معالجة وتصحيح ومداداة وتسديد، وكل منهما يشترط له الحرية والانطلاق، والتحرر والانعتاق.

فإذا كانت العقلية السائدة لا تجد ذاتها إلا من خلال التماهي التام مع المحيط والارتحان إلى أبعاده العرفية والنمطية، والانضباط بمحددات نسقها العام، فينبغي تواجد عقلية حية متوثبة على عكس السابقة تسعى دوماً إلى تحقيق لون من الحضور المستقل وتجسيد قدر من التفرد الذي يتعذر تحقيقه من دون الانفلات من قبضة النسق السائد والتأبي على مظاهر القبولية الضاغطة والتي تدفع المرء قسراً للتشكل بالثقافة السائدة وبالتالي الرفض، بل والمفاصلة الحادة لكل ما هو خارج عن أديباتها. هذا المستوى من الحضور لا تتجدد مصداقيته ولا يكون له رصيد من الواقع ما لم يكن ثمة بنية عقلية وفكرية نقدية متسائلة تمتهن التفكير الناقد وتمارس لونا من الغريبة للمعطيات المألوفة فلا تقبل مجرد القبول، ولا ترفض مجرد الرفض، وإنما تنطلق في قبولها ورفضها من منطلق قوة البرهان، وصوابية الدلالة، وموضوعية المنهج الاستدلالي. إذا ما هو الفكر في اللغة والاصطلاح؟.

١- الفكر لغة:

قال ابن منظور: الفكر: إعمال الخاطر في الشيء، والتفكر اسم للتفكير، ورجل فكير: كثير الفكر، والتفكر التأمل^(٤٧).

٢- الفكر في الاصطلاح:

عرض أصحاب الموسوعة الفلسفية عدة تعريفات للفكر منها:

«الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس»^(٤٨).

أما الإمام الغزالي فقد عرفه بقوله: «اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة.

التوصل إلى المعرفة يسمى تفكراً واعتباراً وتذكراً ونظراً وتأملًا وتدبراً. أما التدبر والتأمل والتفكير: فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معانٍ مختلفة»^(٤٩).

وعرفه بعض المعاصرين وهو عبد الرحمن الزبيدي بقوله: «الفكر هو الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم ونحو ذلك»^(٥٠).

وعرفه الدكتور طه جابر علواني بقوله: «الفكر اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان سواء أكان قلباً أو روحاً أو ذهنًا بالنظر والتدبر، لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء»^(٥١).

سادساً: الإرهاصات الأولى للتجديد في فكر محمد إبراهيم الكتاني:

إن الشيخ محمد إبراهيم الكتاني رغم زهده في الألقاب والصفات، إلا أنه وجد من أطلق عليه ألقاباً كثيرة وصفات خاصة بعد موته، مثل العلامة، المجاهد، المصلح، الثائر، ولكن أكثر الألقاب رددتها الألسن هي: داعي إحياء الاجتهاد، الداعي إلى فتح باب الاجتهاد، الداعي إلى التجديد^(٥٢)، وفعلاً هو كذلك، يظهر ذلك جلياً في أغلب مؤلفاته، وخاصة كتاب «الدعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام» الذي عرض فيه أسس الفكر الإسلامي في القرآن، كالدعوة إلى التفكير واستخدام العقل، وعدم الخضوع للتقليد والجمود، وللاستدلال على ذلك قدم نماذج من ممارسة الرسول صلى الله عليه وسلم الاستقلال الفكري كبشر عندما يعوزه الوحي في مسألة أو قضية، وكذلك ممارسة الصحابة الكرام الاستقلال الفكري بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين^(٥٣).

وكذلك كتابه «طبقات المجتهدين وأعداء التقليد في الإسلام» والذي كتبه في خمسة أجزاء وقال عنه: «هذا المخطوط هو ثمرة العمر كله لأنني قضيت في كتابته أكثر من أربعين سنة». والذي درس فيه جميع المجتهدين في الإسلام ابتداءً من الإمام الشافعي المنتمي إلى القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر، معتبراً أن التقليد لم يحدث إلا في القرن الثالث الهجري. هذا الكتاب هو دراسة تاريخية عن فكرة الدعوة إلى الاجتهاد والتجديد في الإسلام عبر العصور.

هذا الولع والتعلق بالاجتهاد والتجديد إلى درجة الاستغراق، لا شك أنه لم يحصل صدفة، ولم يكن ترفاً، وإنما هناك عوامل أوجدته، وبدوراً استنبته، وقبل كل ذلك، هو توفيق

من الله وتسديد. ثم ملكة صاحبه من طفولته ونمت بنمو عقله وذاته، امتزج فيها الذكاء بالجرأة، والفتنة بالشجاعة، والإدراك بالمسؤولية، فوجهها الإيمان الوجهة الصائبة والسليمة، وصقلها العلم معرفة وإبداعا، وزادها تجلية وإجادة، ومدتها التجربة بالحنافة والمهارة. ولكن هذا كله لا يمكنه إدراكه منفردا، لأنه ليس رسولا يوحى إليه، ولا صفياء ملهما، ولكن كانت هناك اسباب وعوامل أهمها على الإطلاق تتلمذه على الشيخين بوشعيب الدكالي^(٥٤) ومحمد بن العربي العلوي^(٥٥) اللذين شكلا نقطة تحول في الفكر الإسلامي في المغرب وليس فقط في فكر محمد إبراهيم الكتاني، ولنستمع إليه يحدثنا عن ذلك فيقول: «وكان رجوع الشيخ شعيب الدكالي (١٢٩٥هـ - ١٣٥٦هـ) من الشرق العربي عام ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م بعدما قضى هناك حوالي عشر سنوات (١٣١٤هـ - ١٣٢٥هـ) من أهم ما أثر في توجيه المغرب في هذه الفترة، فلقد تلقى تعليمه العالي في الأزهر، وكان الشرق في ذلك الوقت يتمخض عن حركة تجديد إسلامية شاملة بقيادة الأستاذ عبده وثلة من تلاميذه وزملائه من تلاميذ موقظ الشرق جمال الدين الأفغاني، كانت نقطة تحول حاسمة في توجيه الفكر الإسلامي على العموم، بل قيل إن الشيخ شعيبا حضر دروس التفسير التي كان يلقيها الشيخ محمد عبده بالأزهر، ورجع إلى المغرب بعارضة واسعة في العلوم العربية والدينية المقدسة في الأوساط العلمية بالمغرب، ويحمل في طياته ذلك بذور ثورة على ما يتسم به التفكير الديني من ألوان الجمود والتقليد والتعصب والرجعية وضيق الأفق، وتوجيهه نحو الإصلاح والتجديد، لم تلبث أن وجدت استعدادا من قليلين لقبولها ومسايرتها، وفي طليعتهم الفقيه ابن العربي العلوي^(٥٦).

ولكن ما كان يعيشه المغرب في ذلك الوقت من أصناف التخلف والجمود والتعصب والتقليد والجهل، أكان يكفيه رجلان يصمدان في وجهه ويحاولان القضاء عليه، أم كان هناك إلهام واستمداد كان له الأثر الفعال في هذا الإيجاد، إيجاد جيل من الشباب يؤمن بالتغيير والتجديد، فعلا كانت هناك قوة دافعة وطاقة باعثة تجلت في أعلام من المجتهدين والمجددين كابن تيمية وغيره يقول محمد إبراهيم الكتاني: «وكان من بين علمائها الذين درس عليهم ودرسنا معه محمد بن العربي العلوي رحمه الله الذي كان قد تأثر تأثرا كبيرا عميقا جدا بدعوى التجديد الإسلامي التي نادى بها جمال الدين الأفغاني وتلميذ محمد

عبده^(٥٧) وتلميذ هذا محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار التي كانت تنشر مبادئها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وتنشر مطبعتها وبعض المطابع المصرية الأخرى كتب أعلام الفكر الإسلامي المتحررين من الجمود والابتداع والتقليد، من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم الجوزية رحمهما الله والإمام أبي إسحاق الشاطبي ومحمد بن عبد الوهاب والحافظ الشوكاني والإمام ابن حزم القرطبي، وابن عبد البر إلى جانب الكتب والدراسات الحديثة التي تتجه هذا الاتجاه^(٥٨)، قوة وطاقة متدفقة تلقاها واستمدتها الشيخ ابن العربي وتمكن من أن يجعل تدفقها مستمرا ومتعديا إلى تلاميذه. «فانطلق منهم من انطلق هائما على وجهه في استعراض أحوال بقية الأمم الإسلامية، والمقارنة بين حالتها وحالة المغرب، وتطورها وركوده، وتقدمها وتأخره، ودراسة الآراء الإصلاحية القديمة والحديثة لما اكتشف ابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم، وأبا إسحاق الشاطبي، وابن حزم، والألوسي والشوكاني وابن عبد الوهاب، إلى آخر تلك القائمة الطويلة العريضة التي تشمل آلاف المصلحين السلفيين في المشرق وفي المغرب، قديما وحديثا»^(٥٩).

إذا هذه بعض الإرهاصات غير العادية، والروافد المساعدة والمعاونة التي عملت على تشكيل هذا الفكر التجديدي في عقلية وحياة محمد إبراهيم الكتاني، حتى صار يحيا للاجتهد والتجديد ويعيش من أجلهما في وقت كان المغرب فيه بعيدا عن منهج النبوة، غارقا في الطرقية والخرافة...

سابعاً: علاقة السلفية بالرجعية والتجديد:

إن علاقة السلفية بالرجعية والتجديد علاقة تضاد وتناقض، علاقة تواجد وانفناء، لا يمكن لهما أن يجتمعا ولا أن يستقيما؛ إلا أنهما في مسارهما الكوني، وتفاعلهما البشري تجاذبتهم أطراف، منها من نسب السلفية في إطلاقها إلى الرجعية، ومنها من أضفى عليها هالات الاجتهاد والتجديد، ومنها من رأى العلاقة بينهما نسبية تتراوح بين التقييد والإطلاق.

فأصحاب الرؤية النسبية والملتبسة كمحمد عابد الجابري فيقول: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، وبما أن الإسلام لا يفصل بين الدين والدنيا، بل بالعكس من ذلك يربط صلاح أمور الدين بصلاح أمور الدنيا، فإن تجديد أمور الدين يعني في ذات الوقت تجديد أمور الدنيا، وبما أن أمور الدنيا تتغير من زمان إلى آخر فإن مفهوم التجديد ومتطلباته لا بد أن يتغير حسب الظروف والإعصار. وهكذا فإذا كان بعض الفقهاء القدامى قد فسروا (التجديد) على أنه كسر للبدعة والعودة بالمسلمين إلى سيرة السلف الصالح، فينبغي أن لا نقف عند حدود هذا المعنى تقليدا لهم وتقييدا بالتعريف الذي أعطوه للبدعة، والذي استمدوه من ظروف عصرهم ومعطيات واقعهم»^(٦٠).

أما الشيخ الكتاني فقد أمتلك رؤية كانت مخالفة وهادامة لنظريات المتحاملين والنسبيين فهو يرى السلفية هي المؤسسة الفكرية لحركة الدعوة إلى الاجتهاد فيقول: «ترجع أهمية هذه الحركة (الدعوة إلى الاجتهاد في الفكر الإسلامي) إلى ما تضمنته من محاولة احتفاظ الفكر الإسلامي بأصالته وارتباطه المتين مباشرة بمنبعه الأصيل الذي هو الوحي الإلهي المقدس، مما يجعله صورة من صور الدعوة السلفية التي تهدف للمحافظة على سلامة الفكر الإسلامي من تسرب الأفكار الأجنبية الدخيلة إليه، وهي ما يعبر عنه بالابتداع في الدين. كما أنها تصور لونا من ألوان الفكر الإسلامي لا غنى لدارس هذا الفكر دراسة حديثة شمولية عن التعرف عليه»^(٦١).

وإن كانت احتمالية الاعتراض على هذا الكلام قائمة لكون السلفية في هذا العصر قد تنوعت وتعددت في نظر بعض الباحثين أو لعل الشيخ قصد بذلك سلفية جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده ومن على شاكلتهم كما يصنفهم البعض، فإن الشيخ كان مدركاً لذلك الاحتمال ووقوع ذلك الاعتراض فصرح بأن المقصود هو الشيخ ابن تيمية إمام السلفية والسلفيين فيعتبره أعظم مجتهد أنجبه الإسلام فيقول: «كان شيخ الإسلام ابن تيمية أعظم مجتهد أنجبه الإسلام بعد أئمة المذاهب، وكان عميق المعرفة بتفسير القرآن، محدثا حافظا، أصوليا ناقدا، فقيها عارفا بآراء الفقهاء من مختلف المذاهب، إلى جانب معرفته بآراء مختلف الفرق، وهو ناقد المنطق الصوري من وجهة نظر عقلية، بعدما بقي العلماء سنين طويلة يقتصرون على إصدار الفتاوي.

وقد اضطهد رحمه الله من أجل دعوته لإحياء الاجتهاد حتى أنه مات في السجن لرفضه التخلي عن آرائه الاجتهادية، وكان له فضل عظيم على الدعوة للاجتهاد في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وخصوصاً في العصر الحديث»^(٦٢).

ولم يقتصر على نسب الاجتهاد في السلفية إلى الشيخ ابن تيمية بل جعله ممتد الوصال إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو الشيخ الذي شنع عليه خصومه ووصفوه بأفدح الأوصاف كزعيم الرجعية والجمود والظلامية والتطرف والتكفير، وهم في ذلك معتدون وهو من ذلك بريء وسليم، فجعله من أعلام ودعاة الإصلاح والتجديد فقال: «كانت توجهات الشيخ بوشعيب الدكالي أن ينبذ ذلك كله، للتعرف على أفكار أعلام التجديد وآرائهم، والاتجاه نحو الشرق، الشرق الإسلامي الناهض المتوثب، وخصوصاً الحجاز الذي كان انتصار ابن السعود فيه يثير في جميع أنحاء العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه أعنف الجدل وألد الخصام... كان تلاميذه يواصلون الدعوة لثورته الفكرية ويغذونها بنشر آثار دعاة الإصلاح والتجديد في الإسلام قديماً وحديثاً، كابن تيمية، وابن القيم، وابن حزم الشاطبي وابن عبد الوهاب وصديق حسن خان، وغيرهم»^(٦٣). وقرر أن من بنية منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب محاربة الشرك والضلال والدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاجتهاد فقال: «ظهرت الدعوة السلفية في العصور الحديثة في ناحيتين مختلفتين من البلاد الإسلامية فتأثرت كل واحدة منهما بعوامل متشابهة في بعض النواحي، ومتخالفة في النواحي الأخرى.

ظهرت الأولى في صحراء نجد القاحلة على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر للهجرة (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ) (١٧٠٣-١٧٩١ م) بين بدو.. يدعون الأموات، ويقدمون القبور والأحجار والأشجار، ويتقربون إلى الله بمبتدعات ما أنزل الله بها من سلطان. فقام يدعوهم إلى ما دعى إليه في القرنين السابع والثامن، شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وتلاميذ مدرستهما من الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، واجتهاد سلف الأمة الصالح رضوان الله عليهم...»^(٦٤).

وهي نفس الحركة والمدرسة مستمرة في رأيه والتي تخرج منها شيخ الإسلام المجدد بوشعيب الدكالي الأب الروحي للحركة السلفية في المغرب والذي قال عنه الكتاني: «تلك سلفية الفقيده (بوشعيب الدكالي) الفكرية وذلك أثره فيها. وأما من الناحية العملية فقد كان أيضا رحمه الله سلفيا صميما، لا يعرف بدعة ولا جمودا، ولا يجارب إصلاحا ولا تجديدا، وما أقرأ في حياته الكتب الخرافية، ولا اشتغل بالأبحاث اللفظية والمسائل الخلافية، ولا عبد الله بدعة حقيقية أو إضافية...»^(٦٥).

وتلك الحركة في نظره ما زالت متصلة دؤوبة لتصل إلى أستاذه محمد بن العربي العلوي الذي أعدهم وكونهم وطهرهم وأهلهم ليحملوا راية السلفية ولواء الإصلاح والتجديد حيث يقول عنه: «ذلكم هو أستاذنا محمد بن العربي العلوي الذي درسنا نحن عليه السلفية درسا مستفيضا، فأما إيماننا راسخا بمبادئها في نواحيها المختلفة الاعتقادية والتشريعية والسياسية والاجتماعية، فأصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتنا وعنصرا قويا، له الأثر الفعال في تكييفنا واتجاهنا، وشاهدنا عيانا اضطرابنا للتمسك بها، والعمل على بثها ونشرها، حتى تصبح عقيدة راسخة ومبدأ ثابتا، وإذا أردنا أن نحافظ على الإسلام في هذه البلاد العزيزة التي لا حياة لها إلا بالإسلام، والإسلام الصحيح وحده لا شريك له»^(٦٦). وقال عنه أيضا: «إن أعداء السلفية ومقاومي التجديد الإسلامي لم يلبثوا بعد استقالة الفقيه محمد بن العربي العلوي من وزارة العدل بعد المطالبة بالاستقلال سنة أربع وأربعين وتسعمائة وألف، أن نجحوا في القضاء على كثير من عناصر السلفية التي كان الفقيه ابن العربي قد نجح في إدخالها للقرويين»^(٦٧).

وبعد هذا الجهد والاجتهاد والتجديد المستمر حق للنجاح أن يتحقق ويعلن بكل سعادة واعتزاز وعرفان لما للسلفية من فضل وإحسان، لهذا قال الشيخ محمد إبراهيم الكتاني: «وهل كنا ننجح في حركتنا السياسية الحاضرة هذا النجاح المدهش المطرد؟ لو لم نقم قبل ذلك بحركتنا الإصلاحية السلفية التي هيأت لنا الجو الصالح للعمل المنتج، وأوجدت لنا رجالا نستعين بهم اليوم على إعداد هذه الأمة لاسترداد حقوقها الضائعة واحتلال المكان اللائق بها تحت الشمس كأمة مسلمة عربية لطالما حملت لواء المدنية

والعرفان، فهدت أمما ضالة وعلمت شعوبا جاهلة، وأقامت دولا عادلة وأسقطت أخرى ظالمة باغية»^(٦٨).

ثامناً: التجديد والاجتهاد:

لا شك أن الاجتهاد ليس هو التجديد، إلا أن بينهما تداخل وتعاون وتكامل، فالاجتهاد في اللغة: بذل المجهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال.

وفي اصطلاح الأصوليين: بذل المجتهد وسعه في طلب العلم بالأحكام الشرعية بطرق الاستنباط.

والمجتهد هو الفقيه عند الأصوليين^(٦٩)، وله شروط وضوابط عرضتها كتب الأصول.

والاجتهاد في الإسلام قديم قدمه، حيث كانت أول انطلاقاته في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما حدث في موقف الصحابة من صلاة العصر وهم في طريقهم مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة، وكما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه عندما بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فسأله: بماذا تقضي إن عرض عليك القضاء؟ فقال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد برأبي ولا آلو. فأقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وأثنى عليه^(٧٠). كما اجتهد كثير من الصحابة عند غيابهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما بلغه ذلك أقر بعضهم وصحح خطأ بعضهم.

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة بالنسبة للاجتهاد أن اغلب المطالبين به يقرون بينه وبين التجديد دائماً كما هو الأمر لمحمد بن إبراهيم الكتاني وجيله، بل حتى لجيل اساتذته حيث يقول عن استاذه ابن العربي: «وكان ابن العربي يلقي دروسه بالقرويين داعياً فيها إلى تجديد الفكر الإسلامي وإحياء الاجتهاد المطلق على أوسع نطاق، والاتصال بالحياة العلمية الواقعية والتفاعل المباشر معها، تأثراً وتأثيراً، والخروج من جحر الضب المنعزل الذي كانت القرويون تغط فيه في نوم طويل وعميق»^(٧١). هذا الاقتراح والتلازم له ما يبرره، فبين

الاجتهاد والتجديد صلة وتواصل، والاجتهاد فرع من التجديد، ولون من ألوانه، فالأول خاص، والثاني عام، ولولا الاجتهاد لما كان هناك تجديد، إلا أنه يمكن القول أن كل مجدد مجتهد وليس كل مجتهد مجدد. ولكن الاجتهاد هو باب التجديد ومفتاحه، والقاطرة التي تجره، وكل قرن كثر فيه المجتهدون وتعدّدوا وتفاعّلوا، إلا نتج عن ذلك التكاثر والتفاعل ظهور مجدد، هذا ما يشبه الاستقراء لتاريخ المجددين وزمانهم.

الاجتهاد مجاله الفقه وأحكامه وهو بذلك ينحصر في الفكر، أما التجديد فهو عام مجاله كل الدين، أي العلم والعمل، فالدين في الإسلام لا ينحصر في الأمور الشرعية فقط، كما أن العبادة لا تقتصر على شعائر الصلاة والزكاة والصوم والحج فقط، بل أعم من ذلك وأشمل، فكل نشاط في حياة المسلم عبادة، سواء كان متعلقاً بالذات أو الأسرة أو المجتمع أو الدولة، في جميع النواحي الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧٢)، بل من عجائب الإسلام الأخاذة أن جعل حتى جماع الرجل لزوجته عبادة، إذ قال صلى الله عليه وسلم: «وفي بضع أحدكم صدقة»^(٧٣). ولكن هذه العمومية والشمولية التي امتاز بها التجديد لا تنزل من خصوصية الاجتهاد، فإن كانت الحاجة إلى التجديد على فترات متباعدة يمكنها أن تمتد إلى قرن من الزمان، فالاجتهاد تكون الحاجة إليه آنية ودائمة ومتعددة، فهو يتعلق بحياة المسلمين اليومية وما يجد فيها من نوازل خاصة في هذا العصر. لهذا نجد الشيخ الكتاني لم يمهل أمر الاجتهاد ولم يؤخره بعد التجديد بل جعله صنوا له وتربا، وملازما ومرافقا، فرفع صوته عاليا يحث ويحض عليه جاعلا أهميته بالغة، وأمنيته عالية، وتفعيله أولوية وليس رفاهية منبها إلى قيمته الراقية، وإلى اثره الخارق فقال: «لا بد من لفت الأنظار إلى الأهمية البالغة التي يحتلها الاجتهاد في الفكر الإسلامي، والافاق الشاسعة التي يشملها، والقدرة الخارقة التي يستطيع المجتمع الإسلامي عن طريقه أن يواجه بها تحديات العصر في نطاق أصالته وقدرته الذاتية»^(٧٤).

ولم يسه عن الربط بين الاجتهاد وعالمية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، كما بين المركبات الامتزاجية للاجتهاد فقال: «الاجتهاد الإسلامي من أعجب وأغرب ما جاء

به الإسلام لتحقيق عالمية النظام الإسلامي وإثبات صلاحيته المطلقة لكل زمان ومكان بكيفية واقعية وملموسة.

فمع أن الاجتهاد عملية عقلية تضبطها منهجية محددة لها قواعدها وموازينها. فإنها في نفس الوقت يمتزج فيها العقل بالوحي الإلهي، والمادية بالروحانية، والمثالية بالواقع، والدائم بالمؤقت، واليقيني بالظني، والتبعدي بالمعقول المعنى، والعملية بالنظري، والوحدة بالتعدد، والأصالة بالتفتح، والجماعية بالفردية، والثابت بالمتطور...»^(٧٥).

ومن التحديات التي يمكن للاجتهاد القيام بها بعد الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في رأيه هي: محاربة الجمود والتحجر والتعصب المذهبي، وإحياء الجهاد، ومناهضة التخلف ورفع المسخ والتبعية يقول الكتاني: «وإذا كان المستعمرون وعملاؤهم المستلبون قد وجدوا في المجتمعات الإسلامية من فساد الأوضاع السياسية والحربية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والأخلاقية والتشريعية ما مكنهم من تكأة يتكئون عليها في الطعن على الفقه الإسلامي نتيجة لما آل إليه أمره في عصور التخلف والانحطاط من جمود وتحجر وتعصب مذهبي، وانقطاع صلته بواقع الحياة، نتيجة عدم مسابرتة للتطورات العالمية التي زلزلت الدنيا، وقلبتا راس العالم رأسا على عقب.

فلا عجب -والحالة هذه- أن يكون أول ما اتجهت إليه عناية علماء الإسلام في مشارق أرض الإسلام ومغارها، المناضلين للتحرر من رقبة الاستعمار، الدعوة إلى الرجوع إلى القرآن وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وإحياء الاجتهاد، ومنابذة التقليد والتعصب المذهبي، بصفته الطريق الوحيد لتكوين العالم المسلم الذي يستطيع أن يقود معركة الجهاد الإسلامي ضد الاستعمار والتخلف وعوامل المسخ والتبعية التشريعية والفكرية واللغوية»^(٧٦).

والشيخ محمد إبراهيم الكتاني إذا كان تحمسه للاجتهاد مشهورا، وحميته له بارزة، فإن تلك الحماسة لم تنسه خطورة الاجتهاد وما يمكن أن يحدثه المتطاولين فيه، وما درجة الجنوح التي يمكن أن يوقعه فيها المدعين، لهذا قال: «الاجتهاد سيف ذو حدين، وقد أفتى العلامة

أبو عبد الله ابن المناصف^(٧٧) المجتهد المغربي فتوى ندد فيها بالفوضى الفكرية التي انتشرت نتيجة تهافت جهالا مارقين على ادعاء الاجتهاد من غير أن يكون لأحدهم مؤهل من دين ولا علم^(٧٨). ابن المناصف أفتى بهذه الفتوى في القرن السادس الهجري، وهو قرن من عدة نواحي وخاصة العلمية أفضل وأحسن من عصرنا، فكيف الحال اليوم والواقع مرير «لم تشتد الحاجة إلى إحياء الاجتهاد في وقت من الأوقات مثلما اشتدت في هذا الوقت بوجه خاص، بعدما تغيرت أوضاع الحياة تغيراً كاملاً، وانقلبت انقلاباً تاماً، كشف عن معجزة جديدة من معجزات النظام الإسلامي الذي أقامه الله على اليقين الثابت الذي لا يقبل احتمالاً ولا تبديلاً ولا تغييراً، وهو مما لا يخضع للاجتهاد، ومن مجملته ما عرف في الفكر الإسلامي (بالأمر بالمعلوم من دين الإسلام بالضرورة)، وعلى الظني القابل للاجتهاد والمحتمل لأكثر من رأي»^(٧٩).

إذا هي ضوابط وقواعد وضعها الشيخ الكتاني للاجتهاد مهما دعت الحاجة وألجأت الضرورة إليه، حتى لا يصير الأمر فوضى، ولا يقتحم بابه كل مدعي، وكأن الشيخ كان يستشرف المستقبل خاصة في بلده المغرب، إذ أصبح اليوم من المطالبين بحق الاجتهاد أناس لا يربطهم به إلا المسمى، فكما قال الشيخ الكتاني لا دين لهم ولا علم، فبتنا نرى ونسمع علمانيين يطالبون بحق الاجتهاد في قضايا ثابتة قطعية نصية معلومة من الدين بالضرورة، كنظام الإرث في الإسلام ومنع التعدد... ولكن الشيخ الكتاني أظهر أن إحياء الاجتهاد لا يمكن أن يكون خنوعاً لتيار الاستغراب والمتساهلين في الفتاوي فبين مجالاته وإمكانياته فقال: «وهذا الاجتهاد المطلوب إحياءه نوعان:

أحدهما: يقوم على إعادة النظر في الأحكام الفقهية الاجتهادية التي كان الأمر مستقراً عليها عدة أجيال، لكن هذا التغيير الشامل والعميق في شؤون الحياة جعلته مما يجب إعادة النظر فيه.

ومما يؤكد إعادة النظر هذه، أن طبيعة الاجتهاد في الفكر الإسلامي أنه غير قطعي وغير ملزم، ولذلك رويت عن كثير من الأئمة المجتهدين أقوال مختلفة في المسألة الواحدة حيث كان يتغير اجتهاد أحد من وقت لآخر.

النوع الثاني من أنواع الاجتهاد التي تدعو الضرورة القصوى لإحيائه مواجهة المشاكل الحادثة التي لم تكن معروفة من قبل - بعد أن تغيرت الحياة تغيراً شاملاً - ولم تخطر على بال من شغلوا أنفسهم باستخراج الأحكام للصور المفروضة توها منهم - عفا الله عنهم - أن خيالهم يمكن أي يحيط بكل ما يمكن أن يقع فيما يستقبل. مع أن الله يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقد جاءت التطورات الحديثة لتقول للواحد منهم: علمت شيئاً وغابت عنك أشياء»^(٨٠).

ثم ذهب كباقي العلماء يحدد مجالات الاجتهاد فجعلها أربعة:

«١- ما هو مستمد من نصوص قطعية الثبوت عن الله ورسوله، قطعية الدلالة على الحكم الذي تضمنته، فهذا مما لا مجال للاجتهاد فيه.

٢- ومنها ما ليس مستمداً من نص أصلاً، أو مستمد من نص ظني الثبوت من السنة، لكن المجتهدين في عصر من العصور بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم أجمعوا عليها، كتوريث الجدات بالسدس. وهذا أيضاً يكون الحكم فيه قطعياً بسبب انعقاد الإجماع عليه، فهو يفيد اليقين ولا يجوز مخالفته، كما لا يجوز الاجتهاد فيه، بعد أن كان قبل الإجماع موضع الاجتهاد والنظر.

٣- وكذلك إذا كانت الأحكام الشرعية مستفادة من نصوص ظنية الدلالة. وفي هذه الحالة تكون مجالاً للاجتهاد، في فهم المراد منها وبالتالي محتملة للاختلاف.

٤- وكذلك إذا كانت الأحكام الشرعية مستفادة من نصوص ظنية الثبوت، وهي أخبار الآحاد من نصوص السنة، فإنها تحتمل الاختلاف من ناحية ثبوت النص وابتناء الحكم عليه.

لذا فإن من الفقهاء من يقدم على هذا النص القياس أحياناً، ومنهم من يقدم عليه عمل أهل المدينة، ومنهم من يقدمه في الاستدلال ويستنبط الحكم بناء عليه، ومع هذا، فقد تكون دلالة هذا النص قطعية كما قد تكون ظنية»^(٨١).

تاسعاً: التجديد والحرية:

إن القيام بإنجاز المشاريع المهمة والأعمال العظيمة، خاصة إذا كانت ملحّة وجليّة، لهي تحدّ لأمر الواقع، لا سيما إذا كان لهذا المشروع مناوئون ضاربون في القدم، حرصوا على الدوام على وضع عوامل العرقلة والتثبيط والتقييد أمام انتهازه.

ومن أكبر المشاريع وأخطرها على الإطلاق تجديد الدين الذي لم ينجح بدوره من مؤثرات الخلفية التي توطّره، حيث غاب فيها المحفز غيابه في العقل الذي يستثيره، ولم يسلم من آفات التشيبي والتظاهر، ولا من آليات التجريد والتقريب.

وهذا التجديد إذا أراد التخلص من المثبطات والمقيدات ومن الخلفيات والملابسات التاريخية ينبغي له إيجاد الحاضنة التي ترعاه وتحفزه حتى يشب قويا، ويعلو سامقاً؛ وهذه الحاضنة هي الحرية التي تجدرت في جدلية الثقافي بالسياسي، حيث كانت تلك الجدلية من جملة المنطلقات التي حددت نوعية العلاقة بين التجديد والحرية.

فالحرية بالنسبة للاجتهاد والتجديد شرط وجود، وعلّة تكوين، وإكسير الحياة، وليس في ذلك غرابة، فالحرية من مسلمات الشريعة الإسلامية تقوم على تكريم الله للإنسان، وهي من لوازم العقيدة في الإسلام حيث قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٨٢)، وقال سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٨٣)، والحرية شرط صحة في كثير من العبادات، والحرية والعقل مناط مسؤولية التكليف كما يقول الأصوليون. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه اختزل موقف الإسلام من الحرية بمقولته الخالدة: «متى اسعبدتم الناس وقد ولدتمهم أمهاتهم أحرارا»^(٨٤).

يقول محمد إبراهيم الكتاني: «الإسلام دين الحرية، هياً للإنسان سبيل التحرير من جميع أنواع العبودية لغير الله، فتحرر من اهتدى بهديه من الإلحاد الذي يعمي الأبصار والبصائر عن مشاهدة آيات الله في الأنفس والآفاق، ويحول الإنسان إلى حيوان أعجم لا تمهه إلا شهواته وضروريات جسمه المادية الفانية، كما تحرر من الوثنية على اختلاف أشكالها وألوانها وثنية عبادة أرواح الآباء والأجداد والملائكة والجن والأنبياء والعباد والشهداء

والأبطال، والملوك والرؤساء. ووثنية العنصرية مثل التي يزعمها اليهود لبني إسرائيل (شعب الله المختار) بزعمهم، ووثنية النصرانية التي تزعم أن الله ثالث ثالث ثلاثة.

تحرير الفرد من سيطرة الفرد والجماعة، والتحرير من سيطرة المترفين والأغنياء»^(٨٥).

هذه الحرية الضرورية للاجتهاد والتجديد يراها الشيخ الكتاني لازمة للعقل بداية حتى يتحرر من الأغلال ويكسر القيود التي تحول بينه وبين التفكير الصحيح المنتج، فقال: «نواصل السير قدما في سبيل تحطيم الأغلال وكسر القيود التي تحول بين العقل المغربي وبين التفكير الصحيح المنتج، والعمل الصالح المفيد، الأمر الذي نستطيع أن نسجل بمداد الفخر نجاحنا فيه لدرجة قصوى»^(٨٦). هذا النجاح الذي أعلنه الشيخ ما كان ليتحقق لولا تخلصهم من الصدمة التي أصابتهم وهم «جماعة من الشباب، تفتح عينها - أول ما تفتحتها في الحياة - على أمتها وقد فقدت حريتها واستقلالها الذي لم تعرف له فقدا في تاريخها الطويل، فهي تنمن من جراحها المكرومة وتتخبط في مسيرها، من أجل كرامتها المثلومة»^(٨٧). فلم يستسلموا كأغلب الشعب لذلك الاستلاب، بل بادروا إلى التحرر المتدرج، فحرروا بداية عقولهم ومنحوها الاستقلالية، ذلك الاستقلال الفكري الذي عرفه الكتاني بقوله: «أن يتجرد المرء في تفكيره عن المؤثرات المختلفة، ويكون لنفسه فكرة قائمة على البرهان ورعاية المصلحة العامة، غير خاضعة لهوى ولا شهوة، ولا غرض شخصي، ولا متأثرة بالرف ولا اعتياد، ولا صادرة عن اتباع رئيس، أو تقليد قائل لا يستند في قوله إلى حجة، ولا يعتمد على برهان. فلقد جباننا الله بالعقل ومنحنا التفكير، ووهبنا من هداية الدين والوحي الإلهي ما نستطيع به التمييز بين الحق والباطل، والتفريق بين النافع والضار، والحسن والقيح. وما ضل من ضل، وزاغ عن سواء السبيل، إلا بالإعراض عن الهداية الإلهية، وإهمال ما وهب الله لعباده من فكر يفترون به عن الحيوان، ويتفاضلون بحسبه في مراتب الكمال»^(٨٨).

وهذا الاستقلال الفكري ليس بدعة ولا مستحدث فقد «كان الأئمة المجتهدون حريصين على أن يُكوثُوا في أنفس طلبتهم ملكة الاستقلال الفكري، فكانوا وهم يدرّبونهم على الاجتهاد ينهونهم عن تقليدهم، ويلحون عليهم في وجوب الاعتماد على الدليل والبرهان»^(٨٩).

كما أن هذا التحرر والاستقلال الفكري ليس مقتصرًا على الأمة الإسلامية فقط، بل هو سنة من سنن الله الكونية تأخذ بها كل الأمم التواقفة إلى النهضة والنجاح، يقول الشيخ الكتاني: «إذا نحن بحثنا في النهضات السياسية المهمة التي قامت في الشرق والغرب، واثرت كثيرًا أو قليلاً في حظوظ تلك الأمم واتجاهاتها، فإننا نجد لها مسبوقة دائماً بنهضات إصلاح ديني أو تحرير فكري: تحطم الأغلال التي قيدت عقول الأمة عن أن نشاهد التعاسة التي ترزح تحتها، والهوة السحيقة التي تتردى فيها وخذرت الأعصاب وأخذت الهمم، حتى أصبحت مقنعة بما هي فيه من تأخر وانحطاط، لا تفكر في إصلاح ولا تعمل لرقى، ولا تسعى لمجد، ولا تأنف من ذل، حتى إذا تحررت العقول من جمودها، والأفكار من أضاليلها، تسابقت مسرعة في البحث عن الحياة الحرة الطليقة، مضحية في سبيلها، مستميتة دونها. فتلك الدولة العربية في صدر الإسلام التي ضمت جل ممالك الأرض المعروفة إذ ذاك، ما كانت تقوم لولا الدعوة الإسلامية التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم...»^(٩٠).

ولكن هذه الحرية والتحرر الفكري الذي يدعو إليها الشيخ الكتاني فإن كان القرآن يؤيدها ويؤازرها حيث أعطى للعقل قيمته، وأنزله المنزلة التي يستحقها، إذ دعا الناس إلى التدبر والتفكير والتأمل واستعمال النظر، فمع ذلك فإن الشيخ لا ييؤها مكان الصدارة، ولا ينزها منزلة الزعامة، ولا يراها متبوعة وقائدة ولا مرجعاً، بل يعاينها تابعة خاضعة لها حدود لا يجوز لها تعديها ولا التطاول عليها، يقول الشيخ الكتاني: «والقرآن يذكر تقليد الآباء واتباع الرؤساء والقول بغير علم، واتباع الظن والهوى ويطلب باستعمال الحجّة والاعتماد على البرهان، يلزم الناس باتباع ما أنزل الله إليهم من ربهم والوقوف عند حدوده وعدم تعديها»^(٩١).

إن الحرية التي يستشرفها الشيخ الكتاني ويتطلع إليها ويأملها هي تلك التي تساهم وتشارك في بناء مجتمع إسلامي سليم من أدوات وآفات المجتمعات المادية، يقوم على التوحيد والعبادة الصحيحة والتحرر من العبودية لغير الله وتحقيق العدل وإقامة الإحسان بين أفرادها، وعلى استحضار المنفعة العامة والشاملة للدين والدنيا، يقول الشيخ الكتاني: «إن هدف الإسلام هو إقامة مجتمع إسلامي بريء- بقدر الإمكان- من عيوب المجتمعات

الجاهلية يقوم على توحيد الله وإخلاص العبادة لله والتحرر الكامل من جميع أنواع الاستعباد والعبودية لغير الله وحده، وتلك قمة الحرية في التصور الإسلامي. وإقامة العدل والإحسان، وتمكين الإنسان من تصريف مواهبه فيها بالنفع الدنيوي والأخروي عليه وعلى مجتمعه وعلى البشر أجمعين»^(٩٢).

عاشراً: التجديد والتراث:

إن كلمة «تراث» لفظة حادثة ليس لها علاقة بموروثنا الثقافي والفكري، بل هي إبداع اصطلاحى فكري معاصر، تم توليده داخل البنية العقلية العربية بآليات ذاتية وعبارة نفسية، بعيدة عن الأيديولوجية الفكرية الغربية، إذ أننا نجد أقرب الكلمات مقابلة لها في اللغات الغربية ككلمة (héritage) و (patrimoine)^(٩٣)، لا تحمل نفس المدلول ولا المراد. «هذا يعني أن مفهوم «التراث» كما نتداوله اليوم، إنما يجد إطاره المرجعي داخل الفكر العربي المعاصر ومفاهيمه الخاصة، وليس خارجها»^(٩٤) و«لا كلمة تراث، ولا كلمة ميراث استعملت قديماً في معنى الموروث الثقافي والفكري... وإن شؤون الفكر والثقافة كانت غائبة تماماً عن المجال التداولي»^(٩٥).

إلا انه قد يوجد من يعترض على ذلك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: «كونوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم»^(٩٦)، وبقصة أبي هريرة رضي الله عنه مع أهل دمشق حينما قال لهم: «أنتم هنا -يعني السوق- وميراث محمد يوزع في المسجد. فلما ذهبوا لم يجدوا أموالاً توزع وإنما حلق العلم». وأبو هريرة إنما يتأول بهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الأنبياء لم يروثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم»^(٩٧).

هذا من ناحية المصطلح، أما من جهة التعريف فقد ضيق البعض مراده وحصر معناه في «مختلف الموروثات التي وصلتنا على مر العصور والأزمان، والتي لا تزال ماثلة في حياتنا متمثلة في العادات والتقاليد والفنون وما إليها من المأثورات والقيم التي لا زلنا نمارسها ونمدها بالحياة»^(٩٨)، وجنح البعض إلى التوسيع بقوله: «مجموعة الميراث الفكري والحضاري للأمة،

من لغة، وعلوم ومعارف، ونظريات وأفكار، وقيم وعوائد، وفنون وصنائع، ومآثر ثقافية حضارية مما أبدعه العقل المسلم عبر التاريخ، وورثه الخلف عن الأسلاف»^(٩٩).

وعرفه آخر بقوله: «الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني، وهو المضمون الذي تحمله الكلمة داخل خطابنا العربي المعاصر ملفوفاً في بطانة وجدانية أيديولوجية»^(١٠٠).

إذا هو ذلك الموروث القديم والعتيق في شموليته وکليته، فما علاقته بالتجديد الذي هو خلاف القديم، والذي هو توثب وتحفز نحو المستقبل، هل هي علاقة اتصال وتواصل وتكامل، أم علاقة فراق وانقطاع، في فكر الشيخ الكتاني؟

إذا كان بعض العلماء في تعاملهم مع التراث قد استوطنوا أرجاءه وسكنوا، واستغرقوا فيه حتى اضمحلوا، فإننا نجد أغلب العلمانيين قد خاصموا وطلقوا.. أو حاولوا، حيث اعتقد بعضهم أن «الماضي لا يمكنه أن يخدمنا في حل مشاكلنا... (ولا حتى) في إعادة إعطاء الماضي قيمته الحقيقية»^(١٠١) لهذا «يكون تجاوزه ممكناً»^(١٠٢).

أما الشيخ الكتاني فقد خالف الطرفين وتوسط بينهما، فلم يجمد على التراث جمود الرافض لكل جديد، ولم ينبذ نبد المعادين المتحاملين، بل سلك منهج القبول والرفض في كليهما، والأخذ والاستمداد من القديم المفيد، والإقبال والاستسقاء من الجديد النافع، فحاول ونجح في التوفيق بينهما والإصلاح، وفصل المقال فيما بين التجديد والتراث من الاتصال.

الحقيقة أن الشيخ الكتاني لم يستخدم كلمة «تراث» في إنتاجه الفكري إلا نادراً وفي أيامه المتأخرة، وذلك لكون تلك الكلمة لم تكن ابتدعت ولا تداولت في أيامه الأولى، ولكنه استدعى مضامينها واستحضر تعاريفها ووعى مفاهيمها. وعنايته رحمه الله بالتراث لم تحضرها التلقائية ولم تطبعها العشوائية، وإنما حكمها الوعي والقناعة، واستجلبتها المسؤولية والأمانة؛ وكأنه ألقى السمع لقول صديقه ورفيقه في المنهج والكفاح الوزير محمد المختار السوسي^(١٠٣) حينما قال: «أمن بين هؤلاء يمكن أن يوجد عشرة من الباحثين يعرضون عن كل شيء، ويجعلون قبلتهم أن يحيوا ما اندثر من مجد السلف، لعله يفتح الطرق إلى

ما يأتي من الخلف»^(١٠٤)، فاستجاب لذلك واستجمع قواه وبدأ المشوار. ولكن ذلك التجاوب السريع لم يفقده التوازن العقلاني ولا الحياد الوجداني مع حبه الشديد وتقديره الكبير للتراث الإسلامي، فلم ينزلق في متهات التقديس ولم يكتس رداء التنزيه، فتعامل معه بآليات الأخذ والرد، والتأييد والنقد؛ لأنه ليس وحياً ولا معصوماً، بل نتاج عقول البشر التي يعترها الصواب والخطأ، وتصيب الحق والباطل. لهذا كان رحمه الله حسه النقدي متيقظاً، ومنهجه التحليلي حاضراً، ومناهضته للتقليد والجمود مشهورة فميز بين الأصيل والدخيل، وبين الصحيح والسقيم، «مظهراً أن لا غنى للحاضر عن الماضي، ولا انفكاك للخلف عن السلف، ولا انفصال بين الجديد والتراث، لأن في السلفية: الوحي بمقررات العصر والتراث معا بما فيهما من عناصر إيجابية، فالسلفية تنظر إلى موضوعها التراثي بعينين لا عين واحدة:

- عين الحقائق المطلقة المستمدة من مرجعيتها.

- وعين يحكمها البعد التاريخي الماضي المدروس، والحاضر الدارس»^(١٠٥).

فعلا كان يؤمن بترايط الماضي بالحاضر والمستقبل، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، وكان مقتنعا بإمكانية الجمع بين الأصالة والمعاصرة في وئام وسلام، وتعاون وتأزر، تعاون الضرورة والحاجة وليس الاستغناء والاكتفاء لهذا قال: «نحن اليوم في حاجة إلى تطبيق منهج الاجتهاد الشرعي الذي قننه الشافعي والشاطبي، ومارسه ابن تيمية وابن القيم الجوزية وأمثالهما، وهو اجتهاد مضبوط بالقواعد المحددة، وفي نفس الوقت منفتح على مختلف التجارب الاجتهادية السابقة، وقابل في نطاق المستقبلية الاجتهادية لإضافة تجارب جديدة لا نهاية لها. وتلك هي - بدون استثناء - أعظم معجزة خالدة للقرآن العظيم»^(١٠٦).

إنه اعتداد بالماضي وتمسك به، ولكن دون انغلاق ولا انحباس، اعتزاز بالحضارة الإسلامية وافتخار، ولكن بموضوعية وتجرد يساعد على الاعتراف، بأن حضارتنا المعاصرة أصبحت قاصرة وتحلت عن المشاركة والريادة، وسلمت اللواء والقيادة للحضارة الغربية، ولكن دون إذلال ولا هوان، مع التسليم بحاجتنا إلى بعض النافع من تلك الحضارة، ولكن بحذر وتمسك بأصالتنا، لأنه لا بد من «رعاية الحركة الفكرية وتوجيهها الوجهة الصحيحة

للتفتح السليم على التيارات العالمية، في نطاق أصالتنا الإسلامية العربية المتطلعة إلى المستقبل الزاهر في ظل الانبعاث الإسلامي الذي يرد المسلمين الضالين إلى حظيرة دينهم الإلهي الحنيف، وينقذ البشرية مما تتردى فيه من كفر وإلحاد وحيوانية مدمرة. وإنها مسؤولية تنوء بحملها شوامخ الجبال»^(١٠٧). ثم أنه مع ذلك لا يرى انفكاكا عن السير في طريق الأقدمين، والأخذ بألياتهم ووسائلهم المنهجية، ولكن على الحقيقة وبالجوهر لا بالادعاء والتظاهر، فإن تحقيق ذلك يكون هو مناط الحياة والنمو، يقول الشيخ الكتاني رحمه الله: «إذا قام فقهاء المسلمين المتخصصون في قراءة القرآن والحديث والفقهاء الإسلاميين وأصوله في مذاهبه المختلفة ومقاصد الشريعة وأسرارها المتعمقون في معرفة اللغة العربية وأساليبها وأسرارها بما قام به فقهاء المسلمين في عصور الإسلام الأولى من مواجهة التطورات الجديدة للمجتمعات الإسلامية باستنباط الأحكام الشرعية لها، في نطاق الذاتية الشخصية المستقلة المتميزة للإسلام، لا على أساس مسخه وإخضاعه لقيم وموازن الحضارة الغربية المختلفة عن قيمه وموازنه أشد الاختلاف... لأمكن استمداد الأصالة والحياة والنمو»^(١٠٨).

أما في إحياء التراث الإسلامي وخدمته فإن جهوده في البحث عن المخطوطات واستخراجها، وفتح أبواب صناديقها ونفض الغبار عنها وتمكين الباحثين منها، لا يجاريه أحد في ذلك ولا ينافسه، حيث كان سباقا إلى ذلك فاتحا بابه ومؤسسا مراكزه، طائفا بالبلدان قائما «بمجولات عديدة في كل من تامكروت وتانغلمت، وغيزوم ووزان، وتازة ومكناس، والزواوية الحزاوية، حيث وفق لاكتشاف كثير من نوادير المخطوطات وفرائدها التي لا تعرف في مكان آخر، والتي كان لاكتشافها صدق كبير في الأوساط العلمية داخل المغرب وخارجه، كما ساهم مساهمة فعالة في تنظيم المكتبة الملكية والتعرف على ما بها من النفائس والذخائر.

وقام في هذا السبيل أيضا بالبحث في كثير من المخطوطات العربية في كثير من مدن إيطاليا وإسبانيا وفرنسا والولايات المتحدة والجزائر والمدينة المنورة وبغداد»^(١٠٩). وتولى وظيفة محافظ لقسم المخطوطات بالخرزانة العامة للكتب والمستندات بالرباط، ليس حبا في الوظيفة ولكن حبا في المخطوطات ولأنه كان أعلم وأخبر بها من كل الناس حتى سمي

بأبي المخطوطات بالمغرب، في حين كان زملاؤه في الجهاد والكفاح يتولون مناصب الوزراء والسفراء ورؤساء الجامعة وأمثالها من الوظائف الرفيعة بعد الاستقلال.

خدمته للتراث لم تقتصر على ما سبق، بل إنه لم يقنع فقط باستكشاف المخطوطات، بل دفعه نهمه وتعلقه بها إلى دراسة وتحقيق عدد كبير منها، وألف كتباً تظهر قيمتها وطبيعتها والحاجة إليها وأماكن وجودها منها: كتاب المخطوطات المغربية وما تحتاج إليه، وطبيعة دور المحفوظات في المغرب، وجولة في المخطوطات العربية بإسبانيا.

هكذا نجد الشيخ الكتاني لم ينظر إلى التراث نظرة خزائية ولا انحطاط، ولم يحمل تجاه الجديد عقد نقص ولا انطباط، بل اقنع بأن لكل مجاله ودوره، وقيمه ووظيفته، فدفع عنهما الصدام، وفك بينهما الاشتباك، وجعل الجمع بينهما ممكناً، والتعاون قائماً، والفوز بنفعهما وخيرهما ميسر.

الحادي عشر: عوائق التجديد

إن التغيير عملية تستنكفها النفوس وتأبأها العقول، لأن حصيلتها تكون هي الجديد، والجديد لا ينشرح له الناس ولا يتحمسون وفيه يرتابون، ولأن القديم له حراسه وأنصاره أدمنوا عليه وألفوه، لهذا جنحوا إلى مناهضة كل من يحاول إزالته وتبديده. والتجديد باعتباره إحياء وبعث ما اندرس من الدين وتخليصه من تبعات الاهتراء ومن عناصره البالية، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها. فلا بد أن يوجد له أعداء يجارونه ويمنعونه، ويضعون في وجهه عوائق تعرقله وتسقطه، وهي عوائق تعددت وتنوعت منها الداخلي والخارجي، سنحاول إبراز بعضها من خلال فكر محمد إبراهيم الكتاني:

- ١- انتشار البدع وترسخها.
- ٢- هيمنة التصوف والطرقية.
- ٣- سيادة الركود والجمود.
- ٤- كثرة المذاهب المختلفة في العقائد والعبادات.
- ٥- تفرق كلمة المسلمين.

يقول الشيخ الكتاني: «إن عناصر الركود والجمود التي قيدت الفكر الإسلامي أزيد من اربعة قرون. وقعت بالمسلمين عن الدفاع الناجع عن أنفسهم أمام هجمات الأعداء في كل مكان، من تصوف مبتدع، وطرقية وتقليد، ومذاهب مختلفة في العقائد والعبادات، تفرق المسلمين وتجعل بأسهم بينهم شديدا، وتعوقهم عن التفكير الصحيح المنتج في إصلاح أحوالهم ومواجهة المشاكل الوقتيّة، بما يستدعيه انقلاب أحوال العالم وتغير أوضاعه المختلفة عما كانت عليه منذ عدة قرون»^(١١٠).

٦- التقليد:

يقول الشيخ رحمه الله: «إن الدعوة الإسلامية قد اصطدمت في بدايتها بحاجز تقليد الآباء، وهو نقيض الاجتهاد القائم على الحجة والبرهان... ولذلك بادر القرآن للهجوم على التقليد هجوما عنيفا مباشرا في ٢٨ آية من ١٨ سورة استغرق نزولها جل حقبه نزول القرآن... ويحكي القرآن في هذه الآيات أن تقليد الآباء السابقين كان الحاجز الذي حال دون إيمان مختلف الأمم.. والقرآن ينكر تقليد الآباء واتباع الرؤساء. والقول بغير علم، واتباع الظن، والهوى، ويطالب باستعمال الحجة والاعتماد على البرهان»^(١١١).

٧- الاضطهاد المعنوي والمادي:

يقول الشيخ رحمه الله: «إن المسلمين يملكون أصلح نظام حياة، بما توفر فيه من عناصر القوة والخلود والثبات والتطور، ولكنهم مستضعفون مضطهدون، يسامون الحسف والهوان في كل مكان، مع أن الله أمرهم أن يكونوا أعز أقوياء»^(١١٢).

٨- التخلف والانحطاط:

يقول الشيخ رحمه الله: «وما ساعد الاستعمار على بسط نفوذه على العالم الإسلامي ما كان عليه الفكر الإسلامي في جميع أنحاء العالم الإسلامي من تخلف وانحطاط.. فصار عليها أن تحارب جميع ما حاق بها في عصورها الأخيرة من عناصر الضعف والتخلف، وتسعى جادة لاكتساب وسائل القوة والتقدم»^(١١٣).

٩- الاستلاب والتغريب:

قال الشيخ رحمه الله: «الأمة الإسلامية مدينة للإسلام بوجودها على غير مثال سابق، ومنه تستمد حياتها وبقائها وقوتها، فعليها أن تتطور في نطاقه، وتحارب تسرب كل ما لا يتلاءم معه من المبادئ الدخيلة والآراء المستوردة التي لا تتلاءم مع رسالته الخالدة التي على الأمة الإسلامية أن تقوم بأدائها خيرا وخير البشر أجمعين»^(١١٤).

١٠- الاستعمار:

قال الشيخ رحمه الله: «كان نجاح الفرنسيين في الحصول على توقيع معاهدة الحماية، وفي احتلال البلاد احتلالا عسكريا، وفي تكوين جهاز إداري مغربي صوري يعتمدون عليه في توجيه البلاد الوجهة التي يريدونها، أمرا يهز كيان الأمة المغربية ويحشم كابوسا ثقيلا على صدرها»^(١١٥).

كانت هذه بعض العوائق والحواجز التي تمنع التجديد من تحقيق أهدافه وبلوغ مراميه في نظر الشيخ الكتاني رحمه الله، وقد بادر إلى الدعوة إلى محاربتها ومكافحتها كما شارك في ذلك بنفسه رحمه الله، وهذا ما سنحاول التعرف عليه في المبحث القادم بحول الله.

الثاني عشر: بعض جهوده في تجديد الفكر الإسلامي:

قال الله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنَّ أَقْلًا نَّعِقْلُونَ﴾^(١١٦)، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١١٧). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١١٨).

كان الشيخ محمد إبراهيم الكتاني حافظا للقرآن الكريم، ومن الطبيعي والأکید أنه قرأ هذه الآيات، ولكنه لم يكتف بقراءتها بل تدبرها ووعاها، وآمن بها وصدقها، فطبقها عملا وجهادا وجهادا، فما شاء أن يكون من الذين يبدلون القول فقط دون العمل، لهذا جعل حياته كلها بذلا وعطاء وعملا وفي سبيل الله، فقام يجاهد باللسان واليد، وبالعقل والفكر، بالجسد والروح، فساهم مساهمة مشهودة في تجديد الدين وإحياء ما اندرس منه مع زملائه

ورفاق كفاحه، خاصة وقد وجد من الآراء من يقول بتعدد المجددين في الزمن الواحد^(١١٩) ولم يتوان في مصادمة كل العوائق، واقتحام كل الحواجز فبذل جهوداً مضمّنية في كل المسارات على مختلف الأصعدة، ومن تلك الجهود:

١- تدبر الواقع وفهمه وسلط عليه أضواء الكشوف يستبين مواطن الخلل وأماكن العلل، والظروف المحيطة به والمؤثرة فيه، سواء كانت داخلية أم خارجية.

٢- استعد للتعامل معه ومواجهة قوائم الخطل فيه، فتزود بالعلم والمعرفة، كل العلم، الشرعي والكوني، وإن كان في الأول الاتقان والتبريز غاية ومطلباً، ففي الثاني كان الإمام والإدراك والتعرف مجزياً.

٣- جعل مكافحة الاستعمار وإرغامه على ترك بلاد الإسلام أولوية، وهكذا انخرط في ذلك وهو ما زال لم يصل سن العشرين، يقول الشيخ رحمه الله: «لقد استقر في الأذهان أن الإسلام لا يسمح للمسلمين بالخضوع لحكام غير مسلمين، ويعتبر الجهاد لتحرير أرض الإسلام والإنسان المسلم من حكم غير المسلمين من أهم أركان الإسلام التي لها مقامها الممتاز في المجتمع الإسلامي ثقافة وممارسة»^(١٢٠).

وفي يوم من أيام ربيع سنة ١٩٢٥ التقى هو وعلال الفاسي ومحمد غازي وعقدوا اجتماعاً في بيته وأسسوا جمعية وطنية سرية لمحاربة الاستعمار»^(١٢١).

«وإذا نحن ألقينا نظرة على ما تحقق في هذا السبيل، الكفاح الشعبي الوطني في سبيل الحرية والاستقلال، نجد أن جماعة من الشباب الذين لا مصالح لهم يخافون عليها قد اقتنعت:

أ- بأن الحماية باطلة شرعاً.

ب- وأن الإسلام يوجب على المسلمين العمل على إلغائها واسترداد السيادة الوطنية»^(١٢٢).

وفعلاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فلم تفتّر لهم همة، ولم تتراخ فيهم عزيمة، حتى نصرهم الله على الاستعمار، وأخرجوه رغم بطشه وحقدته، وبثه الرعب في النفوس، بسجنهم ونفيهم وتعذيبهم وقتلهم.

٤- جهوده في خدمة القرآن الكريم:

إيماناً منه بأن أساس هذا المجتمع هو القرآن، وأن لولا القرآن لما كان هناك مجتمع ولا أمة مسلمة أصلاً، وأن الله غير حال العرب بالقرآن من أمة ضعيفة جاهلة فقيرة تابعة إلى أمة قوية عالمة غنية فائدة، سارع الشيخ الكتاني مع بعض زملائه إلى تأسيس «جمعية المحافظة على القرآن الكريم»، وتعميمها في مدن المغرب، وكان من أهدافها المحافظة على حفظ القرآن وازدياده، وحمل الناس على قراءة القرآن والارتباط به؛ فشرعت هذه الجمعية في توفير المصاحف في المساجد وتحبيسها عليها، ويتولى أفرادها توزيعها على القارئ، واتصلوا بملك المغرب محمد الخامس وقدموا له بعض الملتزمات من الحصول على مصاحف لتوزع على المسلمين وقد استجاب جلالته. ثم أنشأوا حلق تفسير القرآن في المساجد تولى بعضهم تأطيرها ليتدبر الناس القرآن ويفهمونه، فأثار ذلك حفيظة الفرنسيين المستعمرين، فسلطوا من يداقهم من يحارب تلك الجهود^(١٢٣)، ولكنهم خابوا ولم يفلحوا بفضل الله، فقد تواجد رجال يعملون بكل جد وجهد لـ«يعود المسلمون إلى الإسلام، فالإسلام في فترة الانحطاط كان قد فقد تأثيره على الأفراد. وجاءت البدع والطرق التي أبعدت الناس عن الدين وعن مغزى القرآن. وأصبح كتاب الله يتلى على المرضى والموتى وما أشبه ذلك. إذن يجب علينا وهذه مسؤوليتنا، أن نعيد المسلمين إلى القرآن وأن نعمل على قطع الخطى، لحرق المراحل حتى نختصر مسيرة ثلاثة عشر قرناً من التاريخ ونرد الناس إلى المنبع أي القرآن والسيرة النبوية»^(١٢٤).

٥- محاربة الجمود والرجعية والبدع والضلالات:

يقول الشيخ الكتاني رحمه الله: «إن حقيقة حركة التجديد الإسلامي وأهدافها ووسائلها، أنها مجهود مستمر متواصل لا ينقطع ولا يقف عند حد، يقدر أن يكفل للشعب المغربي تطوراً فكرياً يتنافى مع ما هو عليه من جهود وجمود وتعصب ورجعية وتقليد وضيق أفق في التفكير، وتمسك بالبدع والضلالات، وتصديق للأساطير والخرافات، وإعراض عن العلم النافع وإقبال على سفاسف الأمور وتوابعها»^(١٢٥).

«وقد نجحنا إلى حد كبير في تطهير جل مدن المغرب من كثير من البدع والضلالات»^(١٢٦).

٦- مناهضة التعصب المذهبي:

كان لدى الشيخ قناعة راسخة أن التعصب المذهبي من العوائق المانعة للتجديد، لهذا استطاع التملص منه والابتعاد عنه، ولكنه لم يكتف بذلك حيث عمد إلى مناهضة ذلك، فنشر بين الفقهاء وطلاب العلم أخبارا ومعلومات تفيده فيما ذهب إليه وتعينه على ما يصبو إليه منها: أن أكثر ممن خدم مذهب الإمام مالك واجتهدوا فيه وتعصبوا له، لم يكن تعصبهم من أجل التعصب فقط، أو تقليد واتباع وهوى فقط، بل كان بالعلم وللعلم؛ فكان أحدهم إذا وجد الدليل القوي المخالف للمذهب أخذ به ورجحه وترك ما في المذهب في تلك المسألة، وحرصا منه رحمه الله على قوة حجته كان يستشهد بفعل كثير من علماء المذهب المالكي ومنهم ابن العربي، يقول الشيخ الكتاني: «كان الإمام ابن العربي المعافري من كبار أئمة المالكية، وكان مغالياً في التعصب لمالك والانتصار له والرد على مخالفيه، ولكنه يضرب بقوله عرض الحائط، عندما يخالف حديثا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم...»^(١٢٧).

٧- التصدي للتجهيل والتثبيس:

إن الشعوب إذا كانت جاهلة فإن ذلك يعتبر مصيبة كبيرة وآفة خطيرة حري بها أن تشدها أكثر إلى سلاسل التخلف والانحطاط، أما إذا سرى في جنبات نفسها - إضافة إلى الجهل - اليأس، فالمصيبة تكون أخطر وأعظم، وبذلك يعلن العجز والفشل، عجز أمة، وفشل دولة، وحينها يصير التغيير سرايا لا يدرك. وإحساسا من الشيخ الكتاني رحمه الله بخطورة ذلك، وإدراكا منه بأن الاستعمار يعمل لذلك وله، ويضع الخطط لتعميمه ويسخر كل طاقاته لإنجاحها، فإنه اعتنى مع زملائه بهذه الجزئية الخطيرة، وسارعوا إلى مقاومتها والقضاء عليها، وذلك بنشر الوعي وترسيخ الثقة بالنفس، وبحسن التوكل على الله، يقول الشيخ رحمه الله: «يعتبر عمل الحركة الوطنية ونجاحها مثالا رائعا على ما تستطيع حركة التجديد الإسلامي أن تفعله في سبيل المقاومة العلمية لخطط الاستعمار الإجرامية في التجهيل والتضليل وإفساد الضمائر وإخراص الذمم وبت روح اليأس في النفوس.

ومثلا حيا ناطقا بما يستطيع أن يعمله علماء الإسلام في سبيل تبديد الإجرامية في التجهيل والتضليل وإفساد الضمائر وإخراب الذمم وبث روح أمتهم وإنقاذها من رقة الجهل والضلال إذا هم آمنوا بأنفسهم، ووثقوا برهيم وعزموا على أداء رسالتهم في الحياة يريدون بها وجه الله»^(١٢٨).

٨- جهوده في إصلاح التعليم والحفاظ على اللغة العربية:

«كان إصلاح التعليم بالمغرب من أهم اهتمامات الحركة الإصلاحية في المغرب قبل الحماية، فلما وقعت الحماية، كان من أهم اهتمامات الشعب المغربي لمواجهة المستقبل الغامض الاتجاه إلى تأسيس مدارس شعبية حرة تحل محل الكتاتيب القرآنية القديمة، من جهة، وتزاحم المدارس الفرنسية ذات الاتجاه الاستعماري، من جهة ثانية»^(١٢٩).

ولكن هذه المحاولة لم تكن بالأمر الهين والبسيط، لأنها جاءت ردة فعل على سياسة المستعمر الذي نشط في تأسيس المدارس الفرنسية وتشجيع أولاد المسلمين للالتحاق بها لهذا «لقي بعض رجال هذا التعليم عننا شديدا من المستعمر من مضايقات وإبعاد»^(١٣٠) ولكنهم أصروا واستمروا وهكذا كان «التعليم الإسلامي الحر هذا أول سلاح أشهرته الوطنية المغربية، أوائل العشرينيات، حينما قام وجهاء وأعيان الحارات (الأحياء) بفاس بتأسيس مدارس حرة بسيطة»^(١٣١). ورغم ذلك أقبل الناس على هذا القطاع وهم يدركون أنهم يقومون بعمل مرادف للمقاومة العسكرية. ولكن الاستعمار فطن لذلك وتيقن أنها تشكل خطرا على مخططة التعليمي القاضي بمحاربة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فبادر إلى مقاومتها ومحاولة منعها، سواء بالإكراه أو الخيلة، ولكنه فشل فشلا ذريعا»^(١٣٢).

«ويكفي أن نشير إلى الدور الفعال الذي كان للتعليم الحر في تصعيد الصراع الوطني مع المستعمر في كل مكان على امتداد الخريطة المغربية.. سواء حول تأسيس المدارس وتسييرها وسواء مع أفراد الشعب أو القصر، أو سواء من طرف المعلمين والمتعلمين فيها... وقد قام هذا التعليم بدور حاسم وفعال في بث الوعي الوطني إلى جانب النشاط التعليمي»^(١٣٣).

«ولم يقف طموح الشيخ الكتاني وزملائه عند هذا الحد بل كانت عيونهم ممتدة إلى جامعة القرويين وما تعيشه من أوضاع مزرية ومنحطة، فالتجها إلى المطالبة بإصلاح التعليم فيها وضغطوا نحو ذلك، وقدموا طلبا للملك بخصوص ذلك، فقرر الاستجابة لهم فأمر جلالته بتأسيس مجلس أعلى للقرويين برياسة جلالته. وانبثقت منه لجنة لوضع نظام للتعليم الإسلامي بجامعة القرويين. وبعدها أتمت اللجنة أعمالها أصدر جلالته ظهيرا شريفا بتطبيقه»^(١٣٤).

«وقد كان صدور هذا الظهير انتصارا عظيما لنا معشر دعاة التجديد الإسلامي، إذ كان تحقيقا لهدف كافحنا في سبيل تحقيقه كفاحا صادقا عدة أعوام... كما نجحنا في وضع نظام للتعليم في جامعة القرويين العامرة يتناسب مع عظمتها الخالدة ومجدها القديم، ويساعدها على الاضطلاع بأعباء المهمة العظيمة المعدة للقيام بها، وتقديم المسؤولية الملقاة على عاتقها: من بث الإسلام والعربية على أهما دين ولغة، وعلى أهما مدنية وتاريخ وثقافة، وأهما مقوم من مقومات القومية المغربية، تنعدم بانعدامه وتضعف وتقوى تبعا لضعفه وقوته»^(١٣٥).

فأوجدت هذه الحركة الإصلاحية روحاً جديدة وحماسة ريفية تولدت على إثرها «دروسا كان يتطوع بإلقائها احتسابا كثير من الأساتذة السلفيين الوطنيين بفاس وغيرها. وقد كان من أبرز نتائجها أنها أوجدت للكفاح الوطني جنودا سفهوا ما كان قادة الاستعمار يقولونه عن الحركة الوطنية عند نشأتها: إنها قيادة بدون جنود.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن هذه الدروس التي نتحدث عنها تختلف اختلافا جوهريا عن الدروس المسجدية التقليدية التي اعتاد إلقاءها مدرسون تقليديون، ولكنها خالية من الروح الثورية السلفية والوطنية، والتي يحاول بعض أصحابها أن يحشروا أنفسهم بسببها بين رجال هذا الميدان، ولكن هيهات هيهات»^(١٣٦).

٩- الدعوة إلى تحكيم الشريعة:

كان المغرب عبر تاريخه الطويل منذ دخوله الإسلام يحكم شريعة الله، ولم يتوقف العمل بها إلا بعدما خضع للاستعمار الذي ألغى التحاكم والعمل بها، وحكم القوانين الوضعية، ولما انتصر المغرب ونزع استقلاله من يد فرنسا وإسبانيا «قامت حركة التجديد الإسلامي بدعوة المسلمين أن يغيروا ما بأنفسهم ليغير الله ما بهم، وبالرجوع إلى دينهم يتلقونه مباشرة من القرآن وسيرة الرسول وسنته... وإقامة الحكومة الإسلامية التي تلغي الأحكام الوضعية المخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية، وتحمي المجتمع من الظلم والاضطهاد، والرشوة، والمحسوبية، واستغلال النفوذ، والربا، والزنا، والتبرج، والاختلاط، والإباحية، والخمر، والإلحاد والطعن في الإسلام. أفلا يراود نفوس المؤمنين هذا الأمر، ويرون فيه حلا لكثير من المشاكل التي لا يحلها إلا النظام الإسلامي، وخصوصا أزمة الضمير التي تزلزل كيان جميع المؤمنين الصادقين»^(١٣٧).

بلى، راودتهم ولحت عليهم، راودت الشيخ الكتاني ورفاقه لهذا يقول: «في اجتماع الحكومة نبه محمد المختار السوسي^(١٣٨) زملاءه إلى ضرورة أن تلتزم بأحكام الشريعة الإسلامية، كما كان الحال عليه في جميع مراحل تاريخ المغرب الإسلامي..

وقد اندهش بعض أعضاء الحكومة لهذا الاقتراح الغريب ولكنه أخبرهم -حسبما أخبرني بذلك رحمه الله- أنه مستعد أن يضع لهم تقريرا يشرح فيه كيف إقامة حكومة إسلامية عصرية، ولكنه لم يجد آذانا صاغية»^(١٣٩).

حقيقة لم ينجحوا في تحقيق ذلك المطلب، ولكنه يكفيهم أنهم سطعوا بالحق، وأقاموا الحجة على من بيده الأمر، وأبرأوا ذمتهم أمام الله، تذكيرا وتنبیها وإرشاداً.

١٠- إقامة الدولة الحديثة:

إذا كان الشيخ محمد إبراهيم الكتاني يعتبر من علماء الدين الكبار، ومن المفكرين العظام، فهذا لأنه لم يكن متزمتا ولا جامدا ولا محدود الرؤية، بل على العكس من ذلك كان

منفتحا على كل الثقافات، عميق الرؤية، واسع المعرفة، وفير المعلومة، جامعا بين الأصالة والمعاصرة، حاذقا حصيفا لبيبا؛ لهذا كان يدرك معنى الدولة الحديثة والمعاصرة ومدى الحاجة إليها، وإن كان المغرب بعد استقلاله سلك طريق تحقيق وإقامة تلك الدولة، فإن الشيخ الكتاني كانت له رؤية حولها نجملها في الآتي:

أ- في الجانب السياسي:

أن يُبنى نظامها السياسي على الشورى، يقول الشيخ رحمه الله: «وإذا كان هدف الإسلام هو تكوين مجتمع إسلامي والعمل على ضمان استمراره عبر الأجيال والأمم والأقطار، فمن الواضح البين، أن يكون للجماعة دور أساسي في هذا الميدان. وهكذا أنزل الله على رسوله- وهو ما زال في مكة- سورة الشورى، ومدح المؤمنين فيها بأن أمرهم شورى بينهم: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (١٤٠).

«إن السنة وسنة الخلفاء الراشدين قامت على هذا الأساس، أساس الشورى» (١٤١).

ب- في الجانب الاجتماعي:

قد سبق أن بينا في الصفحة الماضية، أن المجتمع الإسلامي ينبغي له أن يقوم على أسس إسلامية وأخلاق قرآنية، يحكم الشريعة الربانية ويتحاكم إليها، وكذلك على العدالة الاجتماعية لجميع المواطنين.

يقول الشيخ رحمه الله: «وقد كان جميع أفراد هذه الجماعة من أبناء القرويين المعظمة، معقل الإسلام والعربية والجهاد، وفي هذه الجماعة تبلورت أسس الحركة الوطنية المغربية التي هي من الوجهة النظرية المغربية والعربية الإسلام السلفي المتجدد المنافي للجحود والجمود، والذي من مبادئه تنظيم الحكم على أساس الشورى، وهما العدل والعدالة الاجتماعية لجميع المواطنين» (١٤٢).

ج- في المجال الاقتصادي:

«الواقع أنه منذ بداية الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي، والمؤمنون الصادقون يتناولون بالدرس والبحث، مختلف جوانب الاقتصاد الإسلامي، ومحاولة بعثه من جديد، لقد سبق أن ذكرنا أن من أهداف الإسلام إقامة حضارة متميزة، لها مقوماتها الخاصة، ومنها الاقتصاد الإسلامي الذي وضع أسسه القرآن والسنة مما تضمنه من تشريعات جديدة وتوجيهات سياسية تضمن من العدالة ما لم تعرفه لا الشريعة اليهودية ولا القانون الروماني، ووسع الاجتهاد والممارسة آفاقه...»^(١٤٣).

ويقول الشيخ الكتاني رحمه الله: «إن النمو الاقتصادي في الإسلام لن يتحقق إلا إذا صبت في الإطار التقدمي المتطور، القوى الحية الهائلة التي يمدده بها القرآن، ونقصد الروح القرآنية الحقة بعد إزالة الأغلفة (اللاهوتية) الزائلة التي علققت بها وغطت جوهرها وأخفت لأجيال طويلة رسالة القرآن الأصلية»^(١٤٤).

كانت تلكم وباختصار نظرة الشيخ الكتاني الاقتصادية والتي ربطها بالقرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم واجتهاد المسلمين.

١١- المنهج:

أردت قبل الانتهاء من هذا البحث أن أشير وباختصار إلى بعض ملامح منهجية الشيخ الكتاني التي طبعت مسيرته العلمية والعملية، وضبطت تفاعلاته وتعاطيه مع الأفراد والجماعات والأحداث، وميزته وقامت فيه، ومن أين استمددها، وهي كالتالي:

- ١- الاستعداد العلمي. ٢- التزود بالحفظ والبلاغة. ٣- الإحاطة الكاملة بالموضوع أو الجهة المخالفة التي سينتقددها أو يحاورها. ٤- الاستعانة بالموافقين من الأقران أو التلاميذ.
- ٥- تعيين الوقت المناسب واغتنام الفرصة لمهاجمة الخصوم علمياً.
- ٦- توخي الحيطة والحذر، وترك الاندفاع والتهور مع التواضع.
- ٧- اعتماد الحكمة والموعظة الحسنة أثناء المناظرة أو الحوار.

٨- نبد السب واللعن والقدح.

٩- العدل والموضوعية والإنصاف.

وتحمل تلك الصفات وتطبع بها وتعلمها من شيوخه، ومنهم بوشعيب الدكالي رحمه الله والذي يقول عنه: «كان رحمه الله لا يترك فرصة مناسبة للهجوم على البدعة إلا اغتنمها في حيلة وحذر، مع مجاملة لدعاتها، وتأليف لقاداتها، غير ساب ولا لعان، وإنما كان يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل بالتي هي أحسن. وساعده على ذلك وفرة معلوماته، واتساع عارضته بصفة مدهشة، مع بلاغته وحفظه، ومشاركته لمن التلف حوله من جيش مهم من نجباء التلاميذ، يتلقون عنه دروس الحديث والتفسير والدب، وهو في كل ذلك وبكله الداعية المجدد الوحيد إذ ذاك»^(١٤٥).

الخاتمة:

إن من أكبر الإشكاليات التي يواجهها أغلب شبابنا اليوم هو القطيعة مع التاريخ وربما التراث، وقد أغرقهم الاستشراف إلى المستقبل في عقلانية مزمنة رسختها الفتوحات التكنولوجية المعاصرة، وزين لهم العجز عن إنتاجها ومسيرة خطواتها، والمشاركة في حركتها كفاعلين وليس كتابعين فقط، على تحميل الآباء والأجداد مسؤولية ذلك، واتهامهم بالتقصير والعجز، بسطحية مقبلة، وبعنوانية غريبة. ومما زاد في تفاقم ذلك الإشكال ثقافتهم المحدودة، ومعرفتهم المحصورة، واندفاعهم إلى المعاصرة ولائفلاهم من الأصالة. ومن وجد منهم له تأصيل واتصال بالتراث فهو بدوره عجز عن التواصل مع المعاصرة في الغالب.

وكذلك كان من عوامل تأجيج ذلك، الفجوة التاريخية أو السقط أو السهو في السرد التاريخي الذي وقع في فترة الثلاثينيات ومازال مستمراً إلى اليوم، مما دفع شبابنا إلى عدم إِبصار النور الذي أضاء الظلام وأزاح الدجن، كثير من أبنائنا وبناتنا وربما أغلبهم يعرفون أن المغرب كان مستعمراً ولا يعرفون من حرره، ويعرفون أن المغرب متخلف ولا يعرفون أنه كان أكثر تحلفاً وبالتالي لا يعرفون من أرتقى به شيئاً ما؛ فنحن إذاً قارنا بين الحالة التي كان عليها قبل الاستقلال واليوم لوجدنا بونا شاسعاً.

لهذا جاء هذا البحث لمحاولة تقريب التاريخ من شبابنا، وإعلان التقدير والعرفان وتقديم الشكر لذلك الجيل العظيم الذي قدم للمغرب إنجازات مهما حاول البعض طمسها أو إنكارها، بها إلى الصفوف الخلفية، فإن الله يأبى إلا أن ينشرها ويخلدها ومن ذلك الجيل اخترنا الشيخ محمد إبراهيم الكتاني رحمه الله الذي تعرفنا عليه وعلى سيرته المميزة... ورغم أن ذلك لم يكن كافياً ولا وافياً إلا أنها تظل بداية لها من يتممها بإذن الله.

وهكذا وصلنا مع هذا البحث إلى النتائج التالية:

١- أن الشيخ محمد إبراهيم الكتاني كان من كبار العلماء في عصره. غزير التأليف، متواضعاً زاهداً في الدنيا.

- ٢- أنه كان سلفي العقيدة والمنهج، يعظم السلف الصالح في مختلف الأزمان، ويقتدي بهم ويتبع سيرتهم.
 - ٣- أنه كان مجاهداً فذا قاوم الاستعمار منذ نعومة أظفاره حتى خرج ذليلاً.
 - ٤- أنه حارب الطرقية والبدع والخرافة والانحرافات العقدية والعلمية والاجتماعية.
 - ٥- أنه كان داعياً إلى السلفية مدافعاً عنها حامياً لها وناشراً.
 - ٦- أنه قاوم الجمود والمذهبية المتعصبة، وناهض التقليد والرجعية.
 - ٧- أنه دعى إلى الاجتهاد طول عمره، وإلى حرية الفكر ضمن ضوابط الشريعة.
 - ٨- طالب بالتجديد لتغيير حال الأمة الإسلامية إلى الأفضل والأحسن.
 - ٩- أنه رغب في المحافظة على سلامة الفكر الإسلامي من تسرب الأفكار الأجنبية الدخيلة إليه، مع مسابته للمعاصرة ومتطلباتها.
 - ١٠- خدم التراث الإسلامي والعربي وذلك ببحثه عن المخطوطات وإعدادها للباحثين والمحافظة عليها.
 - ١١- كان من المنافحين على الشريعة الإسلامية والمطالبين بإعادة تحكيمها.
 - ١٢- نظر للدولة الحديثة القائمة على الشورى في الحكم والعدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق.
 - ١٣- كان من المتحمسين للاقتصاد الإسلامي والداعين إلى تكثيف البحوث فيه وتطبيقها على أرض الواقع.
- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الهوامش والتعليقات:

- (١) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، رقم الحديث: ٤٢٩.
- (٢) محمد العلمي، الحركة الوطنية المغربية، ص: ٢٦، مطبعة الرسالة، الرباط، عام ١٩٨٠م.
- (٣) عبد الله كنون، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ص: ١٧-١٨، ط: ٣، دار الثقافة، الدار البيضاء، عام: ٩٨٤م.
- (٤) اسمه الجليلي الزرهوني، وألقابه الروكي وبوحامرة، ولد في مدينة زرهون قرب فاس كان موظفا في قصرلا السلطان في مراكش حيث كان يعتبر متقفا، وتم طرده، وظيفته لما قام بتزوير وثائق مهمة اختفى مدة طويلة عن الانظار، استغل فصاحته وعلمه بفنون السحر وإظهاره العلم والتقوى والمرح في استمالة الشمال حيث طاف عليها وهو راكب حمار، فلما كسب الأنصار أعلن الخروج عن السلطان وزعم أنه الابن البكر للسلطان الراحل الحسن الأول، ودامت ثورته سبعة سنين حتى ألقى عليه القبض وأعدم.
- (٥) انظر: الحركة الوطنية المغربية، ص: ٢٦.
- (٦) المصدر السابق.
- (٧) علال الفاسي، النقد الذاتي، ص: ٢٥٥ ط ٥، مطبعة الرسالة، الرباط، عام ١٩٧٩م. والحركة الوطنية المغربية، ص: ٢٩. وعبد الكريم غلاب، الفكر التقدمي في الإيديولوجية التعاقدية، ص: ١٧٧، ط: ١، مطبعة الرسالة، عام ٩٧٩م.
- (٨) المصدر السابق، ص: ١٧٨.
- (٩) د. ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص: ١٩، ط: ١، الدار السعودية للنشر، جدة، ٤٠٥هـ.
- (١٠) الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص: ٢٤٦، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ-٣٠٠٢م.
- (١١) عبد الله كنون، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ص: ٤٠، ط: ٤، دار الثقافة، الدار البيضاء، عام: ٩٨٤م.
- (١٢) مؤسس دولة الأدراسة بالمغرب سنة ١٧٢هـ، وهي أول دولة إسلامية في المغرب مستقلة عن الخلافة في المشرق.
- (١٣) محمد ابن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج، إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، ص: ٣٥، ط: ١، مطبعة الدار البيضاء الجديدة، ١٤١٢هـ ٩٩٢م.
- (١٤) علي بن المنتصر بالله الكتاني، العلامة المجاهد محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني، ص ٦٨-٦٩، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ٩٩٣م.

- (١٥) هو محمد بن جعفر بن إدريس بن محمد الزمزمي الكتاني الحسني، ولد بفاس عام ١٢٧٤هـ توفيت والدته وهو صغير، فاحتضنه والده وأخذ للكتاب فحفظ القرآن ومهمات المتون ثم أدخله جامع القرويين فأخذ مختلف العلوم، سافر إلى الحجاز والشام ومصر، وهاجر إلى المدينة المنورة وأقام فيها لسنوات، كانت له حظوة عند حكام الخلافة العثمانية، اشتغل بالعلم والتدريس وأحدث نخضة علمية كبرى بالحرمين الشريفين، وكذلك كان الأمر حال إقامته بدمشق. عاد إلى المغرب سنة ١٣٤٥هـ فتفرغ لإلقاء الدروس في جامع القرويين، ووصف مجلسه بأنه قل أن شاهد جامع القرويين مشهدا أكبر ولا أجمع منه ويعد الآخذون عنه بالآلاف من مختلف الأقطار، ألف أكثر من ستين تأليفا، توفي سنة ٣٤٥هـ بفاس.
- (١٦) قد اشتهر هذا الادعاء وردد في كثير من المنتديات والكتب والمجلات، وقصد به عبد الحي الكتاني وعلاقته بالاستعمار الفرنسي، انظر: المهدي بنونة، المغرب... السنوات الحرجة، مطبوعات جريدة الشرق الأوسط. كما وجد كذلك الكثير ممن نفى الاتهام وأرجعه إلى كيد الأعداء، وكان أغلب النافين من عائلته.
- (١٧) الزاوية هي: مصطلح خاص بالمغاربة يقابله عند المشاركة « التكية » ويقصد بها المكان الذي ينزوي فيه المريدون مع شيوخهم لأداء أذكارهم وتلاوة صلواتهم وأداء الصلوات المفروضة الجماعية، وللقيام بطقوسهم.
- (١٨) انظر: كريمة بن سعاد، أعلام التصرف في المغرب، مركز الإمام الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة.
- (١٩) هو الشيخ الإمام الحجة أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الهادي ابن الخياط الزكاري الحسني المعروف بابن الخياط الفاسي ولد سنة ١٢٥٢هـ بفاس، عالم فقيه محدث أصولي، لقب بمفخرة فاس، تعدت مؤلفاته المائة، تتلمذ عليه عدد كبير من الخلق برز منهم علماء كثيرون، توفي بفاس سنة ١٣٤٣هـ، د. طارق طماطمي، أعلام القرن الرابع عشر الهجري، ص: ١٨٧، مركز الدراسات والأبحاث.
- (٢٠) عبد الوهاب ابن منصور، أعلام المغرب العربي، ج: ١، ص: ١٩٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩.
- (٢١) محمد إبراهيم الكتاني، الدعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام، ص: ٧٠-٧١، ج: ١، ط: ١، مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، البحرين ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- (٢٢) أعلام المغرب العربي، ص: ٩٤-٩٥، ج: ١.
- (٢٣) المصدر السابق، ص: ١٩٣، ج: ١.
- (٢٤) محمد الفاسي، سيدي محمد إبراهيم الكتاني كما عرفته، جريدة العلم، غشت ١٩٩١م.

- (٢٥) د. إدريس بن محمد الكتاني، الشيخ محمد الكتاني دائرة معارف، العلامة المجاهد محمد إبراهيم الكتاني، ص: ٨٧-٧٩.
- (٢٦) انظر: محمد إبراهيم الكتاني، الفقيه محمد غازي، المجاهد الزاهد، جريدة العلم، يونيو ١٩٨٩م.
- (٢٧) انظر: العلامة المجاهد محمد إبراهيم الكتاني، ص: ١٣٨-١٣٩، وانظر محمد المختار السوسي: معتقل الصحراء، ج: ٥٢ وانظر د. حمزة الكتاني: نبذة عن حياة محمد إبراهيم الكتاني.
- (٢٨) انظر المصادر السابقة، والدعوة إلى تجديد الفكر في الإسلام، ص: ٧٢.
- (٢٩) العلامة المجاهد محمد إبراهيم الكتاني، ص: ٢٤.
- (٣٠) المصدر السابق، ص: ١٥.
- (٣١) المصدر نفسه، ص: ١٧-١٨.
- (٣٢) المصدر السابق، ص: ٢٦.
- (٣٣) المصدر السابق، ص: ٢٨.
- (٣٤) المصدر السابق، ص: ٥٤.
- (٣٥) المصدر السابق، ص: ٩٩.
- (٣٦) عبد الجبار السحيمي، رغم وزارة الإعلام رجالان صنعا تاريخ الاستقلال. جريدة العلم، ١/١/٩٩١م.
- (٣٧) ابن منظور الأفرريقي، لسان العرب، ص: ٢٠٢، ج: ٢، ط: ٣، دار إحياء التراث العربي، لبنان ٩٩٣م.
- (٣٨) أحمد بن علي المقري الغيومي، المصباح المنير، ص: ٩٢، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- (٣٩) محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض التقدير شرح الجامع الصغير، ص: ١٣، ج: ١، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٩٨٦م.
- (٤٠) محمد المكي الناصري، كيف نجد رسالة الإسلام، ص: ١٤٢، مطبعة فضالة المحمدية.
- (٤١) طه عبد الرحمن، العمل الديني وتحديد العقل، ص: ١٩٦-١٩٧، ط: ٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ٢٠٠٠م.
- (٤٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم ٤٢٩١، ج: ٢، ص: ٥١٢، دار المعرفة بيروت.
- (٤٣) العظيم أبادي، عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ص: ٣٩٦، ج: ١١، ط: ١، دار ابن حزم، ١٣٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- (٤٤) المصدر السابق، ص: ٣١١.
- (٤٥) المصدر السابق، ص: ٣٩٦.

- (٤٦) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج: ٢، ص: ١٥٠، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ٣١٥هـ.
- (٤٧) ابن منظور، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، ج: ٢، ص: ٣٣، ط: ١، المكتب الثقافى لتحقيق الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- (٤٨) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج: ٢، ص: ١٠٦، دار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٩٨٤م.
- (٤٩) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج: ٤، ص: ٤٢٥، دار الرشد الحديثة.
- (٥٠) أبو زيد عبد الرحمن، حقيقة الفكر الإسلامي، ص: ٣، ط: ١، دار المسلم، الرياض، ١٤١٥هـ.
- (٥١) طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية المعاصرة، ص: ٢٧، ط: ١، المعهد العلمي للفكر الإسلامي.
- (٥٢) انظر: محمد عزيز الحبابي، الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني خزنة عربية إسلامية تمشي على قدمين. والظاهر زنبير، محمد إبراهيم الكتاني هذا الداعية لإحياء الاجتهاد. ود. إدريس الكتاني، الشيخ محمد الكتاني، دائرة معارف علمية. وعبد اللطيف القتيبي، الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني: حياته، آثاره، وجهوده في البحث والتحقيق، بحث لنيل الإجازة في اللغة العربية وآدابها، من شعبة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، السنة الجامعية: ١٩٨٠-١٩٨١م.
- (٥٣) انظر: محمد إبراهيم الكتاني، الدعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام، ج: ١، ص ٢٨٧-٢٩٢.
- (٥٤) هو بوشعيب بن عبد الرحمن الدكالي الصديقي، ولد سنة ١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م، بدكالة، نشأ يتيما تحت كفالة عمه العلامة محمد بن عبد العزيز الصديقي، وتلقى تعليمه بقرنته الصديقات، ثم انتقل إلى الريف حيث أتم حفظ القرآن والمتون، ولما بلغ ثلاثة عشر عاما شاع ذكره لما حضر أمام السلطان مولاي الحسن في مجلس اختر فيه فأبهر الحاضرين، فأكرمه السلطان وزاد في عطائه. وفي سنة ١٣١٤هـ - ١٨٩٦م رحل إلى مصر فدرس في الأزهر وأخذ العلم على كثير من علمائه ومنهم محمد عبده. ثم أرسله شيخ الأزهر سليم البشري إلى مكة المكرمة ليكون إماما ومفتيا وخطيبا للحرم استجابة لطلب والي مكة الشريف عون الرفيق، فاشتهر أمره وعلا ذكره وترك أثرا عظيما في أهل مكة ومنها وصل صيته إلى كثير من الأقطار، وتفرق طلابه فيها. وبلغ إلى سلطان المغرب المولى عبد الحفيظ نبأه فطلب منه أن يعود إلى المغرب سنة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م، واستقر بفاس وقربه السلطان وتحافت عليه العلماء وطلبة فاس وأعيانها، فولاه السلطان القضاء في مراكش، ثم عين وزيرا للعدل سنة ١٣٣٠هـ - . يعد آخر حفاظ المغرب ومحدثيه، ورائد الدعوة السلفية في مطلع هذا القرن في المغرب، لقب بشيخ الإسلام، درس بالزهر والزيتونة بتونس، توفي سنة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م. انظر: أعلام المغرب، ج ٢، ص: ١٩٨، وأسامة شحاتة، الشيخ أبو شعيب الدكالي المغربي.

(٥٥) هو محمد بن العربي بن محمد الهاشمي العلوي المدغري، ولد سنة ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م بالقصر الجديد بالراشدية، لعبت أسرته دورا كبيرا في بناء شخصيته، كانت والدته تعينه على حفظ القرآن الكريم، ويعتبر والده استادا له، لما حفظ القرآن اصطحبه والده إلى فاس فألحقه بالمدرسة المصباحية ثم بجامعة القرويين، وظل مرافقا له لسنوات يعينه ويخفف عليه غربته، كان الشيخ العلوي بداية صوفيا، وعندما التقى بأستاذه بوشعيب الدكالي أصبح من كبار رموز السلفية، وكان شديدا على الطريقتين والمبتدعة، حصل على العالمية سنة ١٩١٢م، وتولى رئاسة محكمة الاستئناف ثم عين وزيرا للعدل سنة ١٩٣٨م، كان من أكبر المقاومين للاستعمار بل له الفضل في تكوين النخبة الوطنية التي قاومت الاستعمار، بعد موت شيخه بوشعيب الدكالي خلفه ولقب بشيخ الإسلام. توفي سنة ١٩٦٤م.

(٥٦) محمد إبراهيم الكتاني، من ذكرياتي عن اليقظة المغربية، جريدة العلم، ١٩٥٦/٦/٣م.

(٥٧) جدير بالذكر أن نشير إلى وصف محمد إبراهيم الكتاني جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بالمصلحين وبالمجددين قد وجد متأخرا من يعترض على ذلك ويراهما عكس ذلك ويتهمهما بالعمالة للاستعمار وبالانتساب إلى الماسونية.

(٥٨) محمد إبراهيم الكتاني، المجتمع الإسلامي عند غلال الفاسي، جريدة العلم، يونيو ١٩٧٨م.

(٥٩) المرجع السابق.

(٦٠) محمد عابد الجابري، وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، ص: ٤٠-٤١، ط: ٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

(٦١) محمد إبراهيم الكتاني، أبو شعيب الدكالي وطلائع الحركة السلفية بالمغرب، مخطوط بمكتبة حمزة الكتاني، ص ١٦٧.

(٦٢) محمد إبراهيم الكتاني، طبقات المجتهدين واعداء التقليد في الإسلام، ج: ٣، ص: ٢٤٤، مخطوط في مجلدين بمكتبة حمزة الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.

(٦٣) المرجع السابق، ج: ٥، ص: ١٣٢.

(٦٤) محمد إبراهيم الكتاني، حول التراث العربي الإسلامي، ص: ١١٣، مخطوط بمكتبة حمزة الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.

(٦٥) طبقات المجتهدين، ج: ٥، ص: ١٥٥.

(٦٦) محمد إبراهيم الكتاني، أبو شعيب الدكالي وطلائع الحركة السلفية بالمغرب، ص: ١٨٨، مخطوط بمكتبة حمزة الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.

(٦٧) المرجع السابق، ص: ٢٣٣.

(٦٨) المرجع السابق، ص: ١٩٣.

- (٦٩) د. عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، ص: ٣٠١-٤٠٢، مؤسسة الرسالة، بيروت/ ١٣٠٥هـ - ١٠٨٥م.
- (٧٠) أخرجه أبو شيبعة وأحمد وعبد بن حميد والدارمي وأبو داود والترمذي، وهو حديث مشهور، إلا أن بعض اهل العلم صححه، وضعفه آخرون، بسبب الجهالة في أصحاب معاذ ولعله انقطاع السند.
- (٧١) محمد إبراهيم، من ذكرياتي عن اليقظة المغربية، جريدة العلم، ١٩٥٦/٦/٣م.
- (٧٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.
- (٧٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة على كل نوع من المعروف، رقم الحديث: ٣٢٠٧.
- (٧٤) طبقات المجتهدين، ج: ١، ص: ١١٢.
- (٧٥) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٥٣.
- (٧٦) النظرية العامة للشريعة الإسلامية: محمد إبراهيم الكتاني، ج: ١، ص: ٢٠٣، مخطوط في مجلدين بمكتبة حمزة علي الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.
- (٧٧) هو محمد بن عيسى بن محمد بن أصفح أبو عبد الله ابن المناصف الأزدي القرطبي ولد سنة ٥٦٣هـ، فقيه مجتهد متفنن في العلوم تولى القضاء بلنسية ومرسية بالأندلس، ثم نزل إفريقية، وعاش في مراكش إلى أن مات سنة ٦٢٠هـ. له عدة مصنفات منها: المذهبة في الحلّى والشيات، وتنبيه الحكام، انظر مجلة دعوة الحق، العدد: ٤٠٤، صفر ٤٣٤هـ.
- (٧٨) طبقات المجتهدين، ج: ١، ص: ٩٩.
- (٧٩) المرجع السابق، ج: ١، ص: ٣٣.
- (٨٠) المرجع السابق، ج: ١، ص: ٥٤.
- (٨١) المرجع السابق، ج: ١، ص: ٦٧.
- (٨٢) سورة الكهف، الآية: ٢٩.
- (٨٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.
- (٨٤) شهاب الدين محمد بن أحمد الأبيهي، المستظرف في كل فن مستظرف، ج: ١، ص: ٢٣٩، دار الفكر للطباعة والنشر.
- (٨٥) محمد إبراهيم الكتاني، الدعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام، ص: ٢١.
- (٨٦) من ذكرياتي عن اليقظة المغربية، مصدر سابق.
- (٨٧) مصدر سابق.
- (٨٨) محمد إبراهيم الكتاني، الدعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام، ص: ٢٩.
- (٨٩) المصدر السابق، ص: ٥٣.
- (٩٠) المصدر السابق، ص: ٦٤.

- (٩١) المصدر السابق، ص: ١٥٨.
- (٩٢) محمد إبراهيم الكتاني، كيف استطاع المسلمون المحافظة على النص القرآني، ص: ٨٧، مجلد مخطوط، موجود بمكتبة ذ. حمزة الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.
- (93) paul robert, le petit robert : dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française. Paris : société du nouveau lettré , 1970.
- (٩٤) التراث والحداثة، ص: ٢٢-٢٣.
- (٩٥) المصدر السابق، ص: ٢٢.
- (٩٦) أخرجه النسائي، كتاب الحج، باب: رفع اليدين في الدعاء بعرفة، ج: ٥، ص: ٢٥٥ رقم: ٣٠١٤، قال الألباني: حديث صحيح.
- (٩٧) صحيح ابن حبان، كتاب العلم، باب: ذكر وصف العلماء، ج: ١، ص: ٢٨٩، رقم: ٨٨. وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على هذا الحديث، هذا حديث حسن.
- (٩٨) عباس الجيزاري، دفاعا عن التراث، ص: ٣٨، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٦٨م.
- (٩٩) الحسن العلمي، تجديد الفكر الإسلامي، ص: ١٠، ط: ١، مطابع الأهرام التجارية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- (١٠٠) التراث والحداثة، ص: ٢٣.
- (١٠١) عبد الله العروي، عن التقليد والتخلف التاريخي، ص: ١٦٨، بيت الحكمة، ١٩٨٦م.
- (١٠٢) علي أومليل، الليبرالية الحقوقية والسياسية، ص: ٧، مجلة المستقبل العربي، العدد: ٣٠٣، مايو ٢٠٠٤م.
- (١٠٣) هو محمد المختار بن علي بن أحمد السوسي الإلغي، ولد سنة ١٣١٨هـ بقرية إلبغ بالسوس الأقصى، بها نشأ وبها بدا دراسته وحفظ القرآن على عدة معلمين، منهم والدته الفقيهة رقية بنت محمد بن العربي الأزدوي، حيث كانت أسرته عريقة في العلم، ولما شب انتقل إلى مراكش لطلب العلم ثم فاس فدخل جامعة القرويين، فصار من أكبر علماء المغرب ومن أكثرهم تأليفا وإنتاجا. كان من المؤسسين للحركة الوطنية التي حاربت الاستعمار، فسجن ونفي، وبعد الاستقلال عين وزيرا للأوقاف ثم وزيرا في مجلس التاج، توفي سنة ١٩٦٣م. انظر الأعلام للزركشي، وملامح من شخصية المختار السوسي، مصطفى بوكرن، ص: ٩ وما بعدها.
- (١٠٤) عبد الله ازنيدي، السلفية وقضايا العصر، ٣٤٦، ط: ١، دار إشبيليا للنشر والتوزيع الرياض، ٤١٨هـ.
- (١٠٥) المصدر السابق.
- (١٠٦) محمد إبراهيم الكتاني، نظرات في الثقافة المغربية المعاصرة، مخطوط، مكتبة د. حمزة الكتاني، الرباط، المغرب.

- (١٠٧) الدعوة إلى استقلال الفكر الإسلامي، ص: ١٩٧.
- (١٠٨) محمد إبراهيم الكتاني، نظرات في الثقافة المغربية المعاصرة، مخطوط، مكتبة د. حمزة الكتاني، الرباط، المغرب.
- (١٠٩) سيدي محمد إبراهيم الكتاني كما عرفته. مرجع سابق.
- (١١٠) محمد إبراهيم الكتاني، الدعوة إلى استقلال الفكر في المغرب، ج: ١، ص: ١٧٧.
- (١١١) الدعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام، ج: ٢، ٣٣.
- (١١٢) محمد إبراهيم الكتاني، لمحات من فكر محمد إقبال، ص: ٧٠، مخطوط.
- (١١٣) محمد إبراهيم الكتاني، الفقيه محمد الغازي، المجاهد الزاهد، جريدة العلم، يونيو ١٩٨٩م.
- (١١٤) الدعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام، ص: ١٣٣.
- (١١٥) محمد إبراهيم الكتاني، من أدب الكفاح الوطني، ص: ١٠٣، مخطوط بالمكتبة الخاصة للدكتور حمزة الكتاني، الرباط، المغرب.
- (١١٦) سورة البقرة، الآية: ٤٤.
- (١١٧) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.
- (١١٨) سورة فصلت، الآية: ٣٣.
- (١١٩) انظر: ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ج: ١١، ص: ٣٢٠، والإمام النووي، صحيح مسلم، ج: ١٣، ص: ٦٧، وابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج: ١٣، ص: ٢٩٥، والمنأوي، فيض القدير، ج: ١، ص: ١٢.
- (١٢٠) الفقيه محمد غازي، المجاهد الزاهد، جريدة العالم، يونيو ١٩٨٩م.
- (١٢١) انظر المرجع السابق.
- (١٢٢) من أدب الكفاح الوطني، ص: ١٢٧.
- (١٢٣) انظر: محمد إبراهيم الكتاني، شذرات، ج: ٢، ص: ١٤١-١٤٢، ص: ١٨٩، مخطوط في مجلدين، في مكتبة د. حمزة الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.
- (١٢٤) المرجع السابق، ص: ١٨٩-١٩٠.
- (١٢٥) شذرات، ج: ٢، ص: ٢١٠-٢١١.
- (١٢٦) المرجع السابق، ٢٥٤.
- (١٢٧) طبقات المجتهدين وأعداء التقليد في الإسلام، ج: ٣، ص: ١٧٥.
- (١٢٨) محمد إبراهيم الكتاني، التعليم الحر، جريدة العلم، ص: ٨، الاثنين ٣٠ أبريل ١٩٩٠م.
- (١٢٩) المرجع السابق.
- (١٣٠) المرجع السابق.
- (١٣١) المرجع السابق.

- (١٣٢) انظر شذرات، ج:١، ص:٢١٤.
- (١٣٣) شذرات، ج:١، ص:٢٢٢.
- (١٣٤) محمد إبراهيم، فضل جامعة القرويين في الدفاع عن السيادة المغربية خلال عصور، ج:٢، ص:٨٦، مخطوط في مجلدين، بمكتبة د. حمزة علي الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.
- (١٣٥) المرجع السابق، ج:٢، ص:١٢٩.
- (١٣٦) المرجع السابق، ج:٢، ص:٢٢٥.
- (١٣٧) محمد إبراهيم الكتاني، النظرية العامة للشريعة الإسلامية، ج:١، ص:١٢٨، مخطوط في مجلدين في مكتبة د. حمزة علي الكتاني، الرباط، المغرب.
- (١٣٨) من أسرة علمية بربرية، وكان أبوه أكبر شيوخ الطريقة الدرقاوية، ونشأ نشأة صوفية، وتعلم العربية فبرع فيها، وحفظ القرآن الكريم وقرأ علوم الدين والأدب في سوس ومراكش ثم فاس، وصار سلفي العقيدة بفضل شيخه أبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي، فنافح عن عقيدة السلف، وكان عضواً بارزاً في الحركة الوطنية التي كافحت الاستعمار، فسجن ونوفي، وصنف عدة تأليف أهمها كتاب المعسول في عشرين مجلد، وعين وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية في أول الاستقلال، ثم وزيراً لمجلس التاج، توفي رحمه الله سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م. انظر: موقع العلامة المختار السوسي:
- (www.mokhtarsoussi.com).
- (١٣٩) المرجع السابق، ج:١، ص:١٧٨.
- (١٤٠) محمد إبراهيم الكتاني، نشأة الفكر الإسلامي الحديث، ص:١١١، مخطوط.
- (١٤١) المرجع السابق، ص:٢٠٠.
- (١٤٢) المرجع السابق، ص:٢٦٧.
- (١٤٣) محمد إبراهيم الكتاني، شذرات، ج:٢، ص:٧٧.
- (١٤٤) المرجع السابق، ج:٢، ص:٨٩.
- (١٤٥) طبقات المجتهدين وأعداء التقليد في الإسلام، ج:٥، ص:١١١.

المصادر والمراجع

- ابن منظور الافريقي، لسان العرب، ط: ٣، دار إحياء التراث العربي، لبنان ١٩٩٣م.
- ابن منظور، لسان اللسان تهذيب لسان العرب، ط: ١، المكتب الثقافي لتحقيق الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الرشد الحديثة.
- أبو زيد عبد الرحمن، حقيقة الفكر الإسلامي، دار المسلم، الرياض، ١٤١٥هـ.
- أحمد بن علي المقري الغوموي، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٣١٥هـ.
- بوشعيب بن عبد الرحمن الدكالي الصديقي، ذ محمد إبراهيم الكتاني، من ذكرياتي عن اليقظة المغربية، جريدة العلم، نوفمبر ١٩٥٦/٦/٣م.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت: ١٩٨٤م.
- الحسن العلمي، تجديد الفكر الإسلامي، ط: ١، مطابع الأهرام التجارية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- د. إدريس الكتاني، الشيخ محمد الكتاني، دائرة معارف علمية.
- د. إدريس بن محمد الكتاني، الشيخ محمد الكتاني دائرة معارف، العلامة المجاهد محمد إبراهيم الكتاني.
- د. حمزة الكتاني: نبذة عن حياة محمد إبراهيم الكتاني.
- د. عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، مؤسسة الرسالة، بيروت/ ١٣٠٥هـ - ١٠٨٥م.
- د. ماجد عرسان الكيلاوي، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ط: ١، الدار السعودية للنشر، جدة، ١٤٠٥هـ.
- سعيد الكحل، في ندوة «إمكانية تحديث الفكر الإسلامي وإصلاح الشأن الديني» تنظيم المؤسسة الاشتراكية للأبحاث والدراسات والتكوين، الرباط، المغرب، يوم ٢٠ يناير ٢٠٠٧م.
- سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم ٤٢٩١، دار المعرفة بيروت.
- سيدي محمد إبراهيم الكتاني كما عرفته. مرجع سابق.
- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، المستظرف في كل فن مستظرف، دار الفكر للطباعة والنشر.

- صحيح ابن حبان، كتاب العلم، باب: ذكر وصف العلماء، رقم: ٨٨٠. وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على هذا الحديث، هذا حديث حسن.
- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة على كل نوع من المعروف، رقم الحديث: ٣٢٠٧.
- الطاهر زنبير، محمد إبراهيم الكتاني هذا الداعية لإحياء الاجتهاد.
- طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية المعاصرة، ط: ١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، ط: ٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ٢٠٠٠م.
- عباس الجبري، دفاعا عن التراث، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٦٨م.
- عبد الجبار السحيمي، رغم وزارة الإعلام رجلا صنعا تاريخ الاستقلال. جريدة العلم، ١٩٩١/١/٢م.
- عبد الكريم غلاب، الفكر التقدمي في الايديولوجية التعاقدية، ط: ١، مطبعة الرسالة، عام ١٩٧٩م.
- عبد اللطيف القتيبي، الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني: حياته، آثاره، وجهوده في البحث والتحقيق، بحث لنيل الإجازة في اللغة العربية وآدابها، من شعبة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، السنة الجامعية: ١٩٨٠-١٩٨١م.
- عبد الله ازنيدي، السلفية وقضايا العصر، ط: ١، دار إيشبيليا للنشر والتوزيع الرياض، ١٤١٨هـ.
- عبد الله العروي، عن التقليد والتخلف التاريخي، بيت الحكمة، ١٩٨٦م.
- عبد الله ربيع عبد الله محمد، الاجتهاد والتجديد: دراسة أصولية، مجلة المسلم المعاصر، العدد: ١٣١، لبنان، مارس ٢٠٠٩م.
- عبد الله كنون، أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ط: ٣، دار الثقافة، الدار البيضاء، عام: ١٩٨٤م.
- عبد الوهاب ابن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩.
- العظيم أبادي، عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ط: ١، دار ابن حزم، ١٣٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- علال الفاسي، النقد الذاتي، ط ٥، مطبعة الرسالة، الرباط، عام ١٩٧٩م.
- علي أومليل، الليبرالية الحقوقية والسياسية، مجلة المستقبل العربي، العدد: ٣٠٣، مايو ٢٠٠٤م.

- علي بن المنتصر بالله الكتاني، العلامة المجاهد محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ١٩٩٣م.
- كريمة بن سعاد، أعلام التصوف في المغرب، مركز الإمام الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة،
- مجلة دعوة الحق، العدد: ٤٠٤، صفر ١٤٣٤هـ.
- محمد إبراهيم الكتاني، من ذكرياتي عن اليقظة المغربية، جريدة العلم، نوفمبر: ١٩٥٦/٦/٣م.
- محمد إبراهيم الكتاني، أبو شعيب الدكالي وطلائع الحركة السلفية بالمغرب، مخطوط بمكتبة حمزة الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.
- محمد إبراهيم الكتاني، التعليم الحر، جريدة العلم، ص: ٨، الاثنين ٣٠ أبريل ١٩٩٠م.
- محمد إبراهيم الكتاني، الدعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام، ط: ١، مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، البحرين ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- محمد إبراهيم الكتاني، الدعوة إلى استقلال الفكر في المغرب،
- محمد إبراهيم الكتاني، الفقيه محمد الغازي، المجاهد الزاهد، جريدة العلم، يونيو ١٩٨٩م.
- محمد إبراهيم الكتاني، الفقيه محمد غازي، المجاهد الزاهد، جريدة العلم، يونيو ١٩٨٩م.
- محمد إبراهيم الكتاني، المجتمع الإسلامي عند علال الفاسي، جريدة العلم، يونيو ١٩٧٨م.
- محمد إبراهيم الكتاني، النظرية العامة للشريعة الإسلامية، مخطوط في مجلدين في مكتبة د. حمزة علي الكتاني، الرباط، المغرب.
- محمد إبراهيم الكتاني، حول التراث العربي الإسلامي، مخطوط بمكتبة حمزة الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.
- محمد إبراهيم الكتاني، شذرات، مخطوط في مجلدين، في مكتبة د. حمزة الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.
- محمد إبراهيم الكتاني، طبقات المجتهدين واعداء التقليد في الإسلام، مخطوط في مجلدين بمكتبة حمزة الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.
- محمد إبراهيم الكتاني، كيف استطاع المسلمون المحافظة على النص القرآني، ص: ٨٧، مجلد مخطوط، موجود بمكتبة د. حمزة الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.
- محمد إبراهيم الكتاني، لمحات من فكر محمد إقبال، مخطوط.
- محمد إبراهيم الكتاني، من أدب الكفاح الوطني، مخطوط بالمحكمة الخاصة للدكتور حمزة الكتاني، الرباط، المغرب.

- محمد إبراهيم الكتاني، نشأة الفكر الإسلامي الحديث، مخطوط.
- محمد إبراهيم الكتاني، نظرات في الثقافة المغربية المعاصرة، مخطوط، مكتبة د. حمزة الكتاني، الرباط، المغرب.
- محمد إبراهيم الكتاني، نظرات في الثقافة المغربية المعاصرة، مخطوط، مكتبة د. حمزة الكتاني، الرباط، المغرب.
- محمد إبراهيم، فضل جامعة القرويين في الدفاع عن السيادة المغربية خلال عصور، مخطوط في مجلدين، بمكتبة د. حمزة علي الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.
- محمد ابن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج، إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلثة من علماء المغرب المعاصرين، ط: ١، مطبعة الدار البيضاء الجديدة، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
- محمد العلمي، الحركة الوطنية المغربية، مطبعة الرسالة، الرباط، عام ١٩٨٠ م.
- محمد الفاسي، سيدي محمد إبراهيم الكتاني كما عرفته، جريدة العلم، غشت ١٩٩١ م.
- محمد المختر السوسي: معتقل الصحراء،
- محمد المكى الناصري، كيف نجد رسالة الإسلام، مطبعة فضالة المحمدية.
- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربيين بيروت، ١٩٨٨ م.
- محمد عابد الجابري، وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، ط: ٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٤ م.
- محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦ م.
- محمد عزيز الحبابي، الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني خزانة عربية إسلامية تمشي على قدمين.
- النظرية العامة للشريعة الإسلامية: محمد إبراهيم الكتاني، مخطوط في مجلدين بمكتبة حمزة علي الكتاني الخاصة، الرباط، المغرب.
- paul robert, le petit robert : dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française. Paris : société du nouveau lettré , 1970.

